الدين بين الواقع وعالمنا الرقمي

تأليف

ريمه عبد الإله الخاني

بإشراف الدكتور

عبد الرزاق مروزكَ

الدين بين الواقع وعالمنا الرقمي

تأليف: ريمه عبد الإله الخاني

بإشراف الدكتور: عبد الرزاق مرونك

المحتوى :

المحور الأول:

1- المدخل:

مصطلحات العنوان الكبرى:

تعريف تبايني

تعريف تداخلي

2-دلالات العنوان:

أ-الدلالة المعجمية

ب- الدلالة القرآنية

ج-الدلالة معرفيا

3- أبرز خصائص الدين

المحور الثاني: محل الدين من الثورة الرقمية سلبا وإيجابا .

1- الثورة الرقمية في ميزان الدين

2- الدين من المنظور الرقمي

3-ظاهر التفاعل بين الدين والثورة الرقمية سلبا وإيجابا .

المحور الثالث: آفاق التجديد الديني في ظل الثورة الرقمية

1- جديد الدين بين التمييع والتجميد

2- وجوه التوظيف الأمثل للثورة الرقمية في التجديد الديني

3- مآلات الثورة الرقمية

4- تجديد الخطاب الديني

تقديم:

ولد مشروع الكتاب من خلال نشاطات ثقافية عبر الشبكة العنكبوتية تابعناها بدقة ,ولاحظنا ما فيها وما نتج عنها, ومن خلال نصوصنا وحواراتنا عبر المواقع الأدبية وخاصة موقعنا الأدبي, وقد لاحظنا أن هناك حوارات كانت تحوم حول الحقيقة ولا تدخلها بقوة, وهناك من كان يملك حكمة ورأيا راجحا يستحق أن نوثقه أو نجمعه ونناقشه من خلال كتابنا هذا, ناهيكم عن مرحلة الصدمة التي عاشها هذا الجيل فوجئ بهذه القفزة النوعية التقنية لو جاز التعبير والتي أخرجت جيلا خرج من ضيق الأفق لآفاق ما كان ليحلم بها يوما.

المدخل:

أول ما يلزم الشروع به بيان دلالات الكلمات المكونة لعنوان هذا الكتاب ، لأن الحدود – في عالم البحث العلمي – مصابيح المداخل والمسالك والغايات ، كما أن اعتبارها في استثمار المعارف يمكن الباحث من قطف ثمرة بحثه على الوجه الأخصر الأتم .

وسنمضي في تعريف الكلمات المؤلفة لعنوان هذا الكتاب على صعيدين :

صعيد تبايني : نعرف فيه كلا من (الدين والرقم) على حدة .

وصعيد تداخلي : نبرز من خلالها وجوه اجتماع هذه الكلمات داخل نسق إضافي ؛ سلكت فيه كما تسلك الدرر في العقد .

التعريف التبايني :

الدين : أصله من دان يدين دِينا ، ويستعمل في العربية لازما ومتعديا ، وصلة سياق بحثنا باللازم ألصق منها بالمتعدي .

فالمتعدي يأتي بمعنى : القهر ، والحمل على الطاعة ، ومنه قول الأعشر الحرماني – يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم :

يا سيِّدَ الناسِ ودَيَّانَ العَرَبْ

وهو لا يخرج في كل استعمالاته عن هذا المعنى .

أما اللازم فإنه يأتي على وجوه عديدة يمكن ردها إلى أربعة معان :

الأول : الجزاء والمُكافَأة ، كما يقال : دِنْتُه بفعلِه دَيْناً : جَزَيته ، ومنه (يوم الدين) من سورة الفاتحة ؛ أي يوم الجزاء ، وقوله تعالى : { إنَّا لمَدِينُون } أي مَجْزِيُّون مُحاسَبون .

ومنه (الدَّيَّانُ) وهي صفة من صفات الله عز وجل .

المعنى الثاني : الحسابُ ، ومنه قوله تعالى : { مالك يوم الدِّين } ، وقد يحمل أيضا على معنى الجزاء ، ومنه أيضا وقيل : قوله تعالى : { ذلك الدِّين القَيِّمُ } أَي : الحسابُ الصحيح والعدد المستوي .

المعنى الثالث : الطاعة ، والإسلام ، وهو نفس معنى الخضوع ، ومنه قوله تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) ، وكذا قول عمرو بن كلثوم الشاعر :

وأَياماً لنا غُرّاً كِراماً عَصَيْنا المَلْكَ فيها أَن نَدِينَا

وفي حديث الخوارج : يَمْرُقُون من الدِّين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة .

يريد أَن دخولهم في الإِسلام ثم خروجهم منه لم يتمسكوا منه بشيء كالسهم الذي دخل في الرَّمِيَّةِ ثم نَفَذَ فيها وخرج منها ولم يَعْلَقْ به منها شيء

المعنى الرابع : العادة والشأْن ، كما تقول العرب : ما زالَ ذلك دِيني ودَيْدَني أَي عادتي .

وقال المُثَقِّبُ العَبْدي يذكر ناقته :

تقولُ إِذا دَرَأْتُ لها وَضِيني : أَهذا دِينُه أَبَداً ودِيني

ولا يخفى أن أقرب المعاني إلى مرادنا من هذا التصنيف ، وأدخلها في سياق وضعه المعنى الثالث ، وأن المعنى الرابع من حيث الدلالة اللغوية معتبر ، لكنه من حيث الدلالة الشرعية لا يدل على الدين إلى من جهة العرف المعتبر عند الأصوليين .

فالدين : الإسلام ، وهو شرع الله الذي دان به عباده ، وعلق اعتباره على خضوعهم واستسلامهم لأمره ، فأنزل لأجل ذلك الكتب وأرسل الرسل مبينين وهادين ، إلى أن ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي رد كل الأديان إلى دينه بمثل قوله لعمر بن الخطاب رضي الله عنه – وقد أعجب ببعض ما في التوراة – : (لو كان موسى بين أظهركم لما وسعه إلا أن يتبعني) .

****

التعريف التداخلي

والمراد به بيان دلالة الإطلاق بالنظر إلى صلة الإضافة الجامعة بين أفراده إذا كان مكونا من أكثر من لفظ .

وذلك أن بيان دلالة اللفظ مستقلا تظل عامة ، فإذا أضيف إلى غيره اختصت ، وصار للتركيب معنى إضافيا يقيد دلالة المضاف بدلالة المضاف إليه ، ويبرز المسوغ الاعتباري للإضافة .

فيلزم النظر في وجوه الترابط بين معاني تلك الألفاظ المسلوكة في نسق الإطلاق ، وكشف أكبر قدر من الدلالات الجامعة بينها .

وقد تقدم ذكر دلالات الألفاظ المكونة لعنوان موضوعنا مستقلة عن بعضها (دين .. ثورة .. رقم) ، وهو ما أسميناه بالتعريف التبايني .

ونمضي الآن في بيان دلالاتها مرتبطة ببعضها ، وهو التعريف التداخلي .

وبيان كلا التعريفين مدخل ضروري للتأليف ، وقاعدة علمية منطقية يرفع عليها المؤلف دراسته ضمانا لثبوتها ورسوخها ، فما هو المعنى الإضافي الرابط بين الألفاظ الثلاثة المؤلفة لعنواننا موضوعنا : (الدين والثورة الرقمية) ؟

وقد تبين أن أوسع هذه المصطلحات دلالة مصطلح (الدين) ، فلا جرم أنه أعرقها تاريخا ، وأشدها ارتباطا بفكر الإنسان وتصوره لحقائق الوجود والحياة ، لا سيما إذا فسرناه بدلالتيه الثالثة (الخضوع والاستسلام) ، والرابعة (العادة والشأن) .

والحديث عن الدين من هذين الوجهين حديث عن العقائد البشرية جملة ، أو التفكير الديني البشري مصدرا وسلوكا ، وغاية .

فأين يلتقي الدين هاهنا بالثورة ، والثورة الرقمية ؟ ..

أنسب دلالة من دلالات (الثورة) لسياق بحثنا تحول الثائر من نمط ساكن معهود إلى حال جديدة متغيرة مصحوبة غالبا بانفعال يقاطع به المعهود ، أو يطوعه لمنحى تصوري جديد تطويعا جذريا شاملا .

ونحن – وإن أضفنا الثورة إلى الرقم ، واكتفينا بعطف الدين على تركيبهما الإضافي في قولنا : (الدين والثورة الرقمية) — إلا أننا لا نخرج (الدين) عن لب المراد ، بل نعده المحور الذي عليه مدار دراستنا ، لأن حديثنا عن الثورة الرقمية معلق على محل الدين منها ، ومدى تأثيرها في التصور الديني سلبا وإيجابا ، والمجالات والمسالك والمآلات التي يوظف الدين نفسه الثورة الرقمية لأجلها .

الرقم : أصله من (رَقَمَ) ، ويأتي في العربية لمعان :

1 – الكتابة والتبيين ، ومنه قوله تعالى (كِتَابٌ مَّرْقُومٌ)[1] ، أي بينت حروفه بعلاماتها من التنقيط ، قال العلامة ابن منظور : (وقوله عز وجل كتاب مَرْقُومٌ : كتاب مكتوب) .

---

[1] – المطففين : 9 .

ومنه قول الشاعر :

سأَرْقُم في الماء القَراحِ إليكُمُ   على بُعْدِكُمْ إن كان للماء راقِمُ .

ومعنى (سأرقم) في البيت : (سأكتب) .

ومن معانيه الدقيقة قول العرب في وصف الصَّناعِ الحاذقة بالخِرازة : (هي تَرْقُمُ الماء وتَرْقُمُ في الماء ، كأنها تخط فيه) .

وقولهم أيضا : (هو يَرْقُمُ في الماء) ، ومرادهم أن هذا الراقم قد بلغ درجة من الحِذْق بالأُمور صار معها يَرْقُمَ حيث لا يثبت الرَّقْمُ[2] ، أي لا يثبت حال الكتابة ، لكنه يبقى محفوظا ، لذا فإن هذه العبارة (هو يَرْقُمُ في الماء) تضرب مثلا عند العرب للفطن .

ومعناه أنه قادر على إيصال ما يريد بوسيلة لا تبطلها الموانع المعهودة ، إما لخاصية في ذات المكتوب ، أو لمهارة لدى الكاتب ، وقد ورد – في وصف القرآن – من صحيح الحديث ما يدل على هذا المعنى ، كما في صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، ذات يوم في خطبته (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني ، يومي هذا . كل مال نحلته عبدا حلال . وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم . وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم . وحرمت عليهم ما أحللت لهم . وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا . وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب . وقال : إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك . وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء . تقرؤه نائما ويقظانا) .

قال الإمام النووي أَمَّا قَوْله تَعَالَى : ([لَا يَغْسِلهُ الْمَاء] فمَعْنَاهُ : مَحْفُوظ فِي الصُّدُور ، لَا يَتَطَرَّق إِلَيْهِ الذَّهَاب ، بَلْ يَبْقَى عَلَى مَرّ الْأَزْمَان) .

والمِرْقَمُ من هذا المعنى : القَلَمُ ، تقول العرب : طاح مِرْقَمُك ؛ أي : أَخطأَ قلمك .

ومن المعنى الأول : المرأة الرَّقِيمةُ ، وهي : العاقلة البَرْزَةُ الفَطِنَةُ .

2 – الختم والتوقيع المانعان من توهم التحريف .

3 – التخطيط ، والدابة المرقومة هي التي في قوائمها خطوط كيات ، والثور المرقوم القوائم : مُخَطَّطُها بسواد ، ومثله الحمار الوحشي .

ومنه قول قال حميد الشاعر :

فَرُحْنَ وقد زايَلنَ كل صَنِعَةٍ   لهنّ وباشَرنَ السَّديلَ المُرَقَّما

4 – الأثر ، ومنه النكتتان السوداوان على عَجُزِ الحمار فإنهما تسميان : رقمتان ، ورَقْمتا الحمار والفرسِ : الأَثَرانِ بباطن أَعضادهما .

وفي الحديث الصحيح من حديث عمران بن حصين : (... وما مثلكم والأمم ؛ إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة ، أو كالشامة في جنب البعير)[3] .

---

[2] – وما أشد وقوع هذا المعنى على الراقم على الأثير – النت – فما يرقم على الأثير لا ضمان لثبوته ، كما أن احتمال زواله وارد كل لحظة ، فالحاذق الماهر من استطاع توظيف الأثير في إبلاغ رسالته على نحو يضمن مقاومتها لما يهدد رسوخها من التحولات الطارئة .

[3] – أخرجه الترمذي برقم 3168 ، وتمامه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت { يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم } – إلى قوله – { ولكن عذاب الله شديد } . قال : أنزلت عليه الآية وهو في سفر ، قال : أتدرون أي يوم ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذلك يوم يقول الله لآدم : ابعث بعث النار ، قال : يا رب ! وما بعث النار ؟ قال : تسعمائة وتسعة وتسعون في النار وواحد إلى الجنة ، فأنشأ المسلمون يبكون ، فقال رسول الله صلى

فهذه معاني المصدر من هذه المادة .

وأما معنى الاسم منها ، فالرَّقْمُ : خَزّ مُوَشّى .

والرَّقْمُ أيضا : ضرب من البُرود .

وحين رأى النبي صلى الله عليه وسلم سترا موشى على باب فاطمة رضي الله عنها قال : (ما أنا والدنيا ، وما أنا والرقم ؟)[4] يريد النقش والوَشْيَ .

ومن دقائق معناه : التمويه بزخرفة المعروض كيما يقع به الاغترار ، وقد يكون بضاعة متاع أو فكر ، ومن ثم استعمله المحدثون فيمن يكذب ويزيد في حديثه .

ومنه أيضا : الأرقم من الحيات ، وهو الذي فيه سواد وبياض ، والرَّقَمُ والرُّقْمَةُ لونه ، وهو الذي يشبه الجانَّ في اتقاء الناس من قتله ، ومن أمثلة العرب قولهم : (مثلي كمثل الأَرْقَمِ إن تقتله يَنْقَمْ وإن تتركه يَلْقمْ) .

والأَراقِمُ قوم من ربيعة سُمُّوا الأَراقِمَ تشبيهاً لعيونهم بعيون الأَراقِمِ من الحيات ، وإنما سموا بهذا الاسم لأن ناظراً نظر إليهم تحت الدِّثارِ وهم صِغار فقال كأَنّ أَعينهم أَعين الأَراقِمِ .

أما (الرَّقِمُ) بكسر القاف ، فهو (الداهية وما لا يُطاق له ولا يُقام به) .

فيقال : جاء فلان بالرَّقِمِ الرَّقْماء كقولهم بالداهية الدَّهْياء ، قال الشاعر :

تَمَرَّسَ بي من حَيْنه وأنا الرَّقِمْ .

يريد الداهية .

والرَّقْمةُ : الروضة .

والرَّقْمتان : روضتان إحداهما قريب من البصرة والأُخرى بنَجْدٍ .

والرَّقْمتانِ أيضا : روضتان بناحية الصَّمَّانِ وإياهما أَراد زهير بقوله :

ودار لــها بالــرّقْمَتَـــيْنِ كأَنّــهــا   مَراجيع وَشْمٍ في نَواشِر مِعْصَمِ .

الله عليه وسلم : قاربوا وسددوا ، فإنها لم تكن نبوة قط ؛ إلا كان بين يديها جاهلية . قال : فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت ؛ وإلا كملت من المنافقين . وما مثلكم والأمم ؛ إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة ، أو كالشامة في جنب البعير ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة . فكبروا ! ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة . فكبروا ! ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة . فكبروا ! قال : ولا أري ؟ قال : الثلثين أم لا ؟) وهو صحيح .

[4] – صحيح الجامع ، عن عبد الله بن عمر ، رقم 5555 .

الأول : الواقعية من أبرز خصائص الدين

الواقعية : نسبة إلى الواقع ، وهو الساقط الثابت في العربية ؛ من وقع يقع وقوعا [5] ، ثم صار في الاستعمال الحديث اسما للحال اللازمة المتعينة لشخص أو وضع ، وهو المعنى المقصود في بحثنا هذا .

فالواقعية صفة مؤنثة لما يتصل بالواقع تأثيرا وتأثرا ، كقولنا : رؤية واقعية ، أي تدخل في اعتبارها الواقع وتقدره ، ثم صارت اسما لما تشتمل عليه الأفكار والرؤى والمذاهب من الشروط المعتبرة للواقع ، فيقال مثلا : هذا تصور فيه واقعية ، أو الواقعية من خصائصه . . . .

والواقعية في الاصطلاح الثقافي الحديث (Réalisme) مذهب يتقاسمه الفلاسفة والأدباء والمفكرون والساسة والقانونيون ، وغيرهم ، كل بحسب سياق اختصاصه الدلالي ، وتطور الاهتمام به في الماضي والحاضر والمستقبل .

إلا أنها ظهرت أول ما ظهرت لدى الأدباء ، يقول أبو سعد : (الواقعية كلمة استعملت أول ما استعملت في فرنسا ، لتدل على الأدب الذي يتجه إلى الواقع ، فينقله ويصوره ، بدل أن يجفوَه ويعتزله ،كما فعل الرومنطيقيون)[6] .

لذا عرفها جبور عبد النور بقوله : (المذهب الأدبي الذي ظهر في منتصف القرن التاسع عشر ، والداعي إلى معالجة موضوعات واقعية ، مقتبسة من الأحداث الحية ، أو مأخوذة من الدراسات التاريخية ، ووصف البيئة وصفا دقيقا وموضوعيا)[7] .

ولا يلزم من أولية الاستعمال أولية الاعتبار ، لأن النسبية صفة لازمة لكل نتاج فكري بشري ، فلا جرم أن نصوصا ثقافية عديدة متقدمة على الثورة الفرنسية قد اعتبرت قاعدة الواقعية في خطابها الموجه إلى الإنسان ، والذي يعنينا منها أكثر ما يتصل بالخطاب الفلسفي لأنه – من جهة – أشمل وأكثر تجردا ، ثم هو – من جهة أخرى – أعمق اعتناء بقضايا الوجود الإنساني الكبرى .

ومن أهم التعريفات الفلسفية للواقعية أنها تطلق على (كل نظرية تحقق المثال ، أي تعده شيئا واقعيا)[8] ، فواقعية أفلاطون – مثلا – (تقرر أن المُثل – باعتبار ذاتها – أحق بالوجود من الأشياء المحسوسة ، لأنها صور روحانية موجودة خارج العقل الإنساني ، في عالم حقيقي يسمى بعالم المثال .

---

[5] – لسان العرب : وقع .
[6] – الشعر في السودان : ص 24 .
[7] – المعجم الأدبي : ص 288 .

ونسبة هذه المثل إلى صور العالم المحسوس كنسبة الموجودات الحقيقية إلى صورها التي في المرآة)[9] .

فهذا التوجيه الكلي لمعنى الواقعية يسعى إلى محاكاة التصور الديني في منطلقاته ومقاصده ، ولا شك في أن الفلاسفة القدماء قد استفادوا من الرسالات القديمة ، فمنهم من عاصرها ، ومنهم من التقط بقاياها خلال الفترات الفاصلة بين بعثة وبعثة ، بغض النظر عن موافقة عقيدة التوحيد أو مخالفتها .

الواقعية في الإسلام .

الإسلام دين التوحيد المشتمل على التصور الكامل الشامل للكون والإنسان والحياة ، فهو من ثم واقعي إلى أبعد حد يمكن أن تتوق إليه العقول الصحيحة والفطر السليمة ، ليس لأنه من عند اللطيف الخبير العليم بمن خلق فحسب ، ولكن لما اشتمل عليه من تفاصيل هذا التجلي الإلهي في استغراق كل اضطرارات العقل الإنساني وتطلعاته .

ومن تلك التفاصيل الكافية الشافية ما اشتمل عليه النص القرآن من مساحات الحوار المباشرة العريضة التي خص بها العقل الإنساني الموافق والمخالف ، كقوله تعالى : (أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ)[10] .

ويمكن من خلال تتبع الخصائص التي تتفرد بها شريعة الإسلام – بالنظر إلى سائر الشرائع والقوانين – أن نحصرها في ست :

1. الربانية. 2. الإنسانية. 3. الشمول.

4. الوسطية. 5. الواقعية. 6. الوضوح.

1. الربانية:

وليس الغرض من ذكرها ههنا إحصاءَها ، وبيان دلالتها وأدلتها فحسب ، ولكن الربط بينها وبين خِصِّيصَى[11] الواقعية التي تعد منها .

وسوف نورد الحديث عنها – فيما يلي – ، فإذا انتهينا إلى خِصِّيصى الواقعية ذكرنا معناها ، ثم بينا وجه الصلة بينها وبين كل منها لزوما أو اقتضاء .

---

[8] – المعجم الفلسفي : ص 552 .

[9] – نفسه .

[10] – الطور : 35 .

[11] – هذا هو الاسم من (خص يخُص خَصا) ، ويصح منه أيضا (خَصوصية ، وخُصوصية ، ، وخِصِّيّة ، وخاصّة) ، ولا يصح (خاصية) . اللسان : خص .

1 – الربانية

والمراد بها : أن الدين الإسلامي، مادته ومنشأه ونهايته من الرب سبحانه وتعالى، فشريعة الإسلام ربانية من وجهين:

أولاً: ربانية المصدر والمنهج:

إن المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى غاياته وأهدافه منهج رباني خالص؛ لأن مصدره وحي الله تعالى إلى خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم.

لم يأت هذا المنهج نتيجة لإرادة فرد، أو أسرة، أو طبقة، أو حزب، أو شعب، وإنما جاء نتيجة لإرادة الله الذي أراد به الهدى والنور، والبيان والبشرى، والشفاء والرحمة لعباده. كما قال تعالى: {يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً }

[النساء: 174].

ثانيا : ربانية الغاية .

إن الإسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد هوحسن الصلة بالله تبارك وتعالى، والحصول على مرضاته، فهذه هي غاية الإسلام، وبالتالي هي غاية الإنسان، ومنتهى أمله وسعيه وكدحه في الحياة، قال تعالى: {يا أيها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربك كدحاً فملاقيه } 8.

2 – الإنسانية:

والمراد بها : أن الإنسان له مكانة عظيمة في هذا الدين، وعقائد الإسلام وأحكامه وأهدافه وقد جاءت لإسعاده والعناية به وبحقوقه.

فالرسول بشر وإنسان، وهو الذي نقل إلينا هذا الدين من الله سبحانه، قال عز وجل: {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد }9.

وحرم كل البيوع والعقود التي تعود بالضرر على الإنسان، بل شرع من الآداب والأخلاق ما يحفظ للإنسان كرامته وعزته.

* مظاهر تكريم الإنسان في شريعة الرحمن:

أ–استخلافه في الأرض.

قال عز وجل: {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون } 10.

فكرم الله الإنسان بالخلافة في الأرض وعمارتها، وهيأه بالعلم والعقل الذي جعله في منزلة فوق الملائكة الأطهار.

ب–خلقه في أحسن تقويم.

فالله عز وجل خلق الإنسان وصوّره في أجمل وأحسن صورة، وكرمه بذلك على غيره من الكائنات.

قال عز وجل: {لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم }11 .وقال عز وجل: {الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين } .12

ج– أن الله نفخ في الإنسان من روحه وأضاف الروح إلى ذاته الشريفة؛ لأنه كريم عند الله تعالى.

قال عز وجل: {إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين } . 13

ز–الناس سواسية في شريعة الإسلام: [12]

وهذا من مظاهر التكريم للإنسان المسلم، فلا فرق بين أبيض ولا أسود، ولا عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح، كما قال عز وجل: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير }10.

3 – الشمول :

ومن مظاهر الشمول التي تميز بها دين الإسلام:

أ– أنه شامل لكل الناس إلى قيام الساعة.

بمعنى أن دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم هو دين لجميع الناس في الأرض إلى قيام الساعة وانتهاء الحياة الدنيا، فهو رسالة للعالم كله، وليس خاصاً بالعرب مثلاً، ولا بجنسٍ دون آخر، بل هو للعرب والعجم، والبيض والسود، والأحرار والعبيد. فدين الإسلام ليس فيه شعب مختار، أو تميز بسبب الجنس أواللون. فهذا ربنا يقرر هذه الميزة مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك

---

[12] **[الانشقاق: 6].**

9[فصلت: 6] .

10 [البقرة: 30] .

11 [الإنسان: 4].

12 [غافر: 64].

13 [ص: 71–72].

السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون } 11.

ب- شمول شريعة الإسلام لجميع مراحل حياة الإنسان.

فالإسلام وضع نظاماً لحياة الإنسان وهو في بطن أمه حملاً، ثم عندما يكون طفلاً، فبين الذي له من حقوق الحضانة والرضاعة والرعاية، ثم لما يبلغ ويتزوج، ثم عندما يكون أباً أو أماً، ثم لما يكون شيخاً كبيراً، فشريعة الإسلام ترعى الإنسان وتدير شؤونه من قبل ولادته حتى وفاته وبعد وفاته.

ج- شمول أحكام الإسلام لكل نواحي الحياة.

فدين الإسلام ينظم حياة الإنسان كلها في نفسه وعلاقاته مع غيره، في بيته وفي عمله وفي كل أحواله، فكل حياة الإنسان تكفّل الإسلام بوضع منهج متكامل لها، وجعل الالتزام بهذا المنهج عبادة يُثاب عليها إذا خلصت النية لله عز وجل.

في دين الإسلام لابد أن يؤخذ الدين كله ولا يجزّأ، ولا يؤخذ بعضه ويترك بعضه الآخر.

قال عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين } 12

5 – الوسطية :

دين الإسلام دين وسط لا غلو فيه ولا تقصير، وليس فيه ظلم ولا تعد، فالوسطية تعني عدة أمور:

أ- وسطية بمعنى أنها شريعة عادلة، في أخذ الحقوق وإعطاء الواجبات. [13]

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في تجسيد هذا المبدأ، قال عليه الصلاة والسلام: (إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) متفق عليه.

---

[10] **[الحجرات: 13]**

11 [الأعراف: 158].

12 [البقرة: 208].

13-[الفاتحة: 6-7].

14[البقرة : 143].

15 [آل عمران: 110].

16 [الأعراف: 54-55].

وقال في خطبة حجة الوداع: (...وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله) رواه مسلم.

ب- وسطية بمعنى أنها شريعة مستقيمة غير منحرفة.

والإسلام هو الصراط المستقيم، فليس هو طريق الضالين ، ولا طريق المغضوب عليهم. قال تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين } [14]

ج- وسطية بمعنى أنها شريعة كلها خير وحق وصواب.

فهي رمز للخيرية، كما قال عز وجل: {وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول} عليكم شهيداً 14.

وقال عز وجل: {كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون } 15.

.

د- وسطية في الشعائر والاعتقادات والعبادات.

ففي الإسلام لم تحرم الطيبات، كذلك لم تبح الخبائث.

وفي الإسلام إثبات وجود الله و وحدانيته ، وأنه رب الكون وخالقه وإلهه، فلا يستحق العبادة إلا هو سبحانه. قال تعالى: {ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين * ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين } 16.

وذلك خلافاً لما عليه الملاحدة الجاحدين، والمشركين الذين عددوا الآلهة وتجاوزوا الحد وأشركوا مع الله آلهة أخرى.

وفي الإسلام تقدير لحق الأنبياء، فهم رسل كرام ومصطفون عند الله أخيار، يطاعون ويتبعون، لكن لا يبلغ بهم درجة الألوهية والعبادة كما فعل النصارى، وكذلك لا يسبون ويكذبون كما فعل اليهود.

والإسلام وسط في عقائده فللّه الأسماء الحسنى والصفات العليا كما تليق به سبحانه، من غير تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، قال عز وجل: {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون } [الأعراف: 180].

5 – الواقعية :

[14] اقرأ تفسير القرطبي وهو تفسير خاص:
/http://www.omferas.com/vb/t47896
وهناك تفسير أعم وأقرب للمنطق يحمل شمولية أكبر تجده عبر الرابط:
/http://www.omferas.com/vb/t50491

المراد بالواقعية في شريعة الإسلام: أنها تراعي واقع الحياة التي يعيش فيها الإنسان، فالشرائع التي في الإسلام ملائمة لفطرة الإنسان وواقعه وحياته، ولهذا فهي الشريعة القادرة على إسعاد البشرية كلها.

فكل عقائد الإسلام ليس فيها شيء غير واقعي، فالإيمان لابد أن يكون بإله واحد لا شريك له حتى تجتمع حواس الإنسان وإرادته وتكون كلها لله سبحانه.

والإيمان في شريعة الإسلام عقيدة واقعية، فالمؤمن لا يحكم بإيمانه إلا إذا قام بالعمل واجتهد، فالإيمان قول واعتقاد وعمل. والرسول في عقيدة الإسلام بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. والقرآن كلام الله المنزل على رسوله المتعبد بتلاوته، وحروفه وألفاظه من الله تعالى. فليس في شريعة الإسلام وعقائده ما يستغرب أو ما هو مثالي لا يمكن أن يتلائم مع واقع البشرية.

إن الأديان والفلسفات الوضعية والديانات المحرفة لم تكن واقعية، لأنها لم تلب حاجات البشرية ولم تسعدها، والواقع يشهد بهذا. لقد جاء الإسلام بعبادات واقعية. لأنه عرف ظمأ الجانب الروحي في الإنسان إلى الاتصال بالله، ففرض عليه من العبادات ما يروي ظمأه ويشبع نهمه ويملأ فراغ نفسه. فقد قضى الله أن في الإنسان جوعة لا يسدها إلا الإيمان بالله والصلة به. {ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير }؟ [الملك: 14]. بلى سبحانه.

ومع هذا لم يشرع له عبادات فوق طاقته، بل جعلها ميسرة سهلة، قال عز وجل: {وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير } [الحج: 78].

ومن واقعية الإسلام أن جعل محفزات ومرغبات للعمل الصالح، ومرهبات ومنفرات عن العمل السيء، لأن الإنسان بفطرته وطبيعته لا يحركه إلى الخير ولا يبعده عن الشر إلا شوق يحفزه ويدفعه، أو خشية تحجزه وتمنعه، وليس كالشوق إلى مثوبة الله وجنته والنظر إلى وجهه حافز، ولا كالخوف من عذابه وبطشه وانتقامه حاجز ومانع.

من واقعية شريعة الإسلام أنها لم تحرم على الإنسان شيئاً هو في حاجته، وكذلك لم تبح له شيئاً يعود عليه بالضرر، قال عز وجل: {يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون } [الأعراف: 31–32].

ومن واقعية شريعة الإسلام أنها أقرت بأن الإنسان مفطور على الميل إلى اللهو والمرح والترويح عن النفس، فضبطت ووجهت تلك الغريزة، ولم تمنعها وتكبتها، بل هذبتها، فأباحت كل لهوٍ ليس فيه محرم وصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وحرمت ما اشتمل على ضد ذلك، كالغناء بآلات اللهو والطرب والموسيقى والكلام الفاحش البذيء، وأباحت الشعر والإنشاد بالدف وبالكلام المباح.

6 – الوضوح والسهولة :

مما تميز به الإسلام الوضوح في عقيدته وشريعته وأحكامه، يفهمهما البلي والذكي والجاهل والعالم، وليس فيها ألغاز ولا مبهمات، ولا يوجد في الإسلام كما في غيره من الأديان كالنصرانية "اعصب عينيك واعتقد "، بل يعتقد وهو يعلم ماذا يعتقد. يعتقد بأن إلهه واحد، وهو الله سبحانه وحده الذي تصرف له العبادة دون ما سواه، وهو وحده الذي تطلب منه الحاجات، وهو وحده الذي بيده الضر والنفع.

من وضوح هذه العقيدة: أن كل الغيبيات التي أخبر الله عز وجل بها من أمر الآخرة كالجنة والنار وما فيهما من نعيم أو عذاب. وكذلك صفات الله سبحانه، كلها معقولة، تدرك العقول معناها وإن كانت لا تدرك كيفيتها لأنها غيب، قال عز وجل: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } [الشورى: 11].

ومن وضوح هذه الشريعة: أن جميع عباداتها سواء البدنية أو المالية كلها معلومة وواضحة؛ فالصلوات خمس في اليوم والليلة والصيام هو شهر واحد في رمضان، والزكاة معلومة مقاديرها وأنصبتها، والحج معلومة أركانه وشروطه وواجباته، يعرفها كل من تعلمها ولا تعجز العقول عن فهمها.

وأخيرا فإن من وضوح هذا الدين: أن قراءة دستور هذه الأمة ومصدر تشريعها وهو القرآن الكريم وحفظه وفهمه ميسر سهل لكل راغب، قال عز وجل: {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر } [القمر: 40].

وسنة النبي صلى الله عليه وسلم محفوظة بالإسناد، وسيرته مضبوطة محررة. ومن هذه المصادر يؤخذ الإسلام، وإليها يرجع عند الاختلاف. وهذا كله مما لم يتوافر لدين من الأديان.

****

المحور الثاني : محل الدين من الثورة الرقمية سلبا وإيجابا .

العنصر الأول : الثورة الرقمية في ميزان الدين

العنصر الثاني : الدين من المنظور الرقمي

العنصر الثالث : مظاهر التفاعل بين الدين والثورة الرقمية سلبا وإيجابا .

****

العنصر الأول : الثورة الرقمية في ميزان الدين:

1- كيف دخل العالم الرقمي حياتنا

مدخل العالم الرقمي إلى حياتنا [1]

2- ماذا حصل من تغييرات لدى دخوله عالمنا؟

تغييرات العالم الرقمي في حياتنا [1]

3- ماذا يمكن أن نستنتج ونعمل لنستدرك خطره ونفيد من إيجابياته

الوسيلة المثلى لتسخير العالم الرقمي [15]

****

1-كيف دخل عالم الرقمي حياتنا:

يعتبر الإنترنت من أهم الوسائل والتقنيات المعاصرة التي تساهم في تعميم المعرفة ونشرها على مساحات واسعة من العالم ، وأهم وسيلة لتبادل الخبرات والمعارف ، ونشر الثقافة ، ومد جسور التواصل والصداقة بين أقطاب العالم المختلفة ، كما تعتبر الوسيلة الأسرع في نشر الأخبار والتقارير.

ورغم هذا لم نجد مصدر واحد استطاع جمع كل الحسنات ضمن نص واحد أو السيئات بتقصي دقيق جدا.

لكن يمكننا أن نفرد تعدادا خاصا نحاول بقدر الإمكان وضع الإشارات المبدئية , على أهم ما قدمه وأهم ما أهدره باقتضاب وعمومية:

1-وسع مفهوم الثقافة فلم يعد محصورا ضمن المؤسسات المعروفة.

2-بات مرجعا سهلا للدارسين والباحثين.

3-توسيع مجال الخيال العقلي من خلاله.

4-فتح آفاقا واسعة لعالم مجتمعي مترامي الأطراف.

---

[15] - مجرد اقتراح .

أما سيئاته بشكل عام

1–أهدر وقتا طويلا في التعلق به والضياع في دهاليزه العميقة.

2–صارت المفسدة من خلاله مخفية عن عيون الرقابة بطريقة ما.

3–بات ميدانا لكل أنواع الأفكار فيه مع تلوناتها الكثيرة والتي قد تسبب تشويشا معرفيا من خلاله

4–بات التأكد من صحة المعلومة مهمة جديدة في هذا العالم الخاص.

5–ظهور أمراض جديدة بسببه لم نكن نعرفها يوما.

من جهة أخرى:

لقد دخل الإنترنت العالم العربي دون مقدمات ، بل ربما دون دراسات مسبقة (ممهِّدة) لدخوله ، فنفرت منه في البداية شريحة كبيرة من المجتمع ، واعتبرته أداة لتخريب العقول لما يحمله من أفكار غربية مسمومة ، غايتها فتح نوافذ عريضة على عوالم غربية غريبة عن مجتمعاتنا وقيمنا.

هذه النظرة الضيقة أبقت العالم العربي حتى وقت قريب في ركن قصي من العالم المتطور وإنجازاته العلمية والحضارية ، وتجربته التقنية الرائدة الزاحفة .

لكن مع ازدياد المعرفة وانصراف طائفة من المثقفين والمهتمين والمختصين في مجال التقنية الرقمية بدأت الدول العربية تهتم بالإنترنت وميزاته بإحداث أقسام الاختصاص ، وإقامة الندوات ، والمؤتمرات ، وعقد واللقاءات الكاشفة لمزاياه المتعددة .

ولم تزل الاستطلاعات تشير – على الرغم من ذلك – إلى تواضع نسبة مستخدمي الإنترنت العرب قياسا إلى العدد الإجمالي للسكان في الوطن العربي ، مؤكدة على وجود ضعف في البنية الأساسية لشبكات الاتصالات ، وعوائق اجتماعية ثقافية واقتصادية ما فتئت تؤخر الاستفادة من خدمات شبكة الإنترنت وميزاتها المتطورة المتعددة .

وأبرز المجالات تأثرا بهذا الضعف مجال النشر الرقمي الذي يعتبر في الوقت الراهن أداه تنافس النشر الو رقي ؛ من حيث سرعة انتشارها ، وسهولة إيصال الأفكار إلى عدد كبير من القراء في أقصر وقت ممكن .

فلا تزال شرائح مختلفة من المجتمع لا تستعمل الإنترنت وسيلة للمعرفة والإطلاع , وتعتمد اعتمادا كليا على النشر المطبوع ، والدراسات والكتب الورقية المكلفة سعرا وجلبا ، فنشأت في المجتمع فئتان : فئة الثقافة الكترونية وكتابها ، وفئة الثقافة الورقية وكتابها ، وبين الفئتين حاجز من التوجس والتشكيك المتبادل في كل وسيلة ، وقدرات أهلها .

وقد سئل الأستاذ إبراهيم ياسين عن هذا الأمر الذي يجعل عالم كتاب الشبكة منفصل عن عالم النشر الورقي فقال:

لابد لنا من استطلاع أراء مستخدمي الانترنت وسؤالهم عن عدد من كتاب المطبوعات الورقية أبدى الأغلبية عدم معرفة بشريحة واسعة منهم إلا بعض الكتاب المشاهير والتي قدمهم الأعلام بشكل ملفت للنظر. من هذه النقطة لابد من التفكير الجدي بإيجاد وسائل وطرق لمزج العالمين الورقي والرقمي بطريق مختلفة منها: – إقامة الندوات والأمسيات على ارض الواقع وإقامة أمسيات أدبية هدفها الأول التعارف بين جميع المثقفين. – دعوة كافة الكتاب والشعراء لإقامة دورات تثقيفية تهدف إلى تعليمهم طرق التواصل وجلب المعلومة عن طريق الانترنت. – إقامة المسابقات الأدبية المختصة في أدب الواقعية الرقمية في مسعى للفت أنظار جميع الكتاب إلى مستقبل هذا الأدب. – دعوة وسائل الأعلام للاهتمام بتلك التكنولوجيا العصرية والتي سبقتنا الغرب إليها بخطوات واسعة. – توثيق اتحاد كتاب الانترنت العرب والاعتراف به على ارض الواقع كهيئة ثقافية عربية موجودة في الأرض العربية تهدف إلى نشر الثقافة والكلمة الحرة.[16]

من هنا نرى مدى الهوة التي حصلت من خلال عالم خاص هو عالم كتاب النت وعالم آخر هو عالم كتاب الواقع فما لفرق بينهما في الحقيقة؟وما يثير الاستغراب هذا الحوار أو لنقل الجدل الحاصل بين الذي لم يتمكنوا من المرابطة بين الجبهتين لو جاز التعبير...

2 – ماذا حصل من تغييرات لدى دخوله عالمنا؟

أو

(تغييرات العالم الرقمي في حياتنا)

مع ازدياد التقدم التقنى ، وازدهار ثورة الاتصالات ، وتكنولوجيا المعلومات أصبحت المعلومة متاحة بوسائل عديدة جديدة , مثل الشبكة العنكبوتية ، والفضائيات ، والهواتف النقالة ، وغيرها من الجديد التقني اللافت ..

وأصبح بإمكان طالب المعلومة اختزال وقت تحصيلها على نحو مذهل ، يمكنه من حشد مئات بل آلاف الأخبار والمعلومات المتنوعة المستجيبة لمرامه في شتى الشؤون المتوقعة وغير المتوقعة ، حتى بات عنصر الأمان – في مقابل ذلك – منخفضا ، يعسر معه محاصرة أطراف تلك الوسائل المترامية ، ومتابعتها بدقة ، لا سيما وأن المستخدمين صاروا يبحثون عن زوايا ، ومرافق تخصهم ، وتلبي رغباتهم الخاصة جدا.

غير أن هذه المعلومة الثقافية الرقمية على تنوعها تلقي الباحث بين ركام هائل من المعلومات الثقافية ذات التفاوت في مدى دقتها ، فيصيبه تشتت ذهني يحيل أثر المعلومة المنشود تيها واحتيارا ، بعد أن كان هداية وإسعافا ، ويضيع بين المواقع المتوالدة بشكل سرطاني مخيف...

---

[16] انظر الرابط:
http://games.maktoob.com/artical-73371

وأصبح باستطاعة المستخدم العادي لشبكه الإنترنت أن يضيف إلى المحتوى الرقمي ما تجود به قريحته ، وما توصل إليه علمه من أخبار ومعلومات ثقافية دون عناء يذكر , متخصصا كان أو غير متخصص فى المجال العلمي الذي يقرأ عنه ، أو يضيف إليه , و غير مكترث بما قد تحدثه إضافته من تشويه للمعلومة ، أو تحوير ، أو تغيير يعدم الفرق بين النص المتولد والأصل!!! .

ومما يلفت النظر جدا أن جميع التيارات الدينية والعقائدية والثقافية والسياسية تتمازج بشكل غير متجانس ، أو مع بعض تجانس ، فتنتج شكلا جديدا مطلقا غير مألوف ؛ يمد جسور تواصل بين الغرب والشرق ، ويجعله قرية واحدة بشكل ما !! .

وما نسمعه من اجتذاب واحد لجهات علمية معينة ، أو بحث عن عمل أو زواج ؛ إنما هو نتاج واضح لتلك الجهود ، ومظهر لتفاعل كاسح مخيف أدى بطوائف عريضة من الشباب إلى الضياع خلال دهاليزه المدلهمة ، وقد تصل إلى بر الأمان لكن على نحو يحرف السلوك ، ويخوض بها غمار بحار ما كانت لتبلغها لولا تلك الوسائل الخطرة....

وقلت النماذج الوفية ذات القاعدة الصلبة التي استفادت من العالم الرقمي على النحو اللائق المرضي ، ولا نزال نتطلع إلى جيل رقمي صالح مستمسك بأصوله ، يحسن تسخير العالم الرقمي لكل المنافع الدينية ، والمادية الممكنة ، ويزيح التناقض القائم بين رواد سقطوا في غياهب الانحلال الأخلاقي , وآخرين ارتقوا إلى مصاف العلماء والمثقفين!!!

322- ماذا يمكن ان نستنتج ونعمل لنستدرك خطره ونفيد من إيجابياته:

أو

الوسيلة المثلى لتسخير العالم الرقمي

من الرائع بمكان ما وصلنا إليه من وسائل التيسير المذهلة في اجتلاب المعلومة والفائدة المتنوعة ، وما أتاحه العالم الرقمي من امتزاج جهود المفكرين والمثقفين ، وتلاقح نقاشاتهم من خلال المواقع التفاعلية ، وقنوات أثيرية فسيحة مشتركة يسر ، لم تكن لتتاح قبل اليوم إلا بتنقلات ، وبرقيات ، ورسائل بريدية ، وجهد باهض الثمن .

ونرى من اللازم – متابعة للتحولات التي أحدثها العالم الرقمي ، فقلبت بنيات الفكر لدى الشباب ، وهزت قواعد الإيمان في تصوراتهم وتصرفاتهم – أن نستعرض أفكارا تدعم ما نرمي إليه :

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله :

(العرب بدون الإسلام صفر...

ارتبطت مكانة العرب الذاتية والعالمية بهذا الدين , فهم يتقهقرون إذا تخلوا عنه ويستباح حماهم ، وهم يرتقون إذا تشبثوا به وتحترم حقوقهم ، على عكس ما عرف في أمم أخرى لم تستطع التحليق إلا بعد ما تخففت من مورايثها الدينية كلا أو جزءا)[17] .

[17] - قذائف الحق : ص 219 .

المحور الثالث:

الثالث : آفاق التجديد الديني في ظل الثورة الرقمية

العنصر الأول: تجديد الدين بين التمييع والتجميد؟

العنصر الثاني : وجوه التوظيف الأمثل للثورة الرقمية في التجديد الديني

العنصر الثالث : مآلات الثورة الرقمية المتفلتة

العنصر الرابع: التجديد على المستوى الديني

المحور الثالث: آفاق التجديد الديني في ظل الثورة الرقمية :

العنصر الأول : تجديد الدين بين التمييع والتجميد .

من غير الطبيعي أن تبقى الأفكار والسلوكيات وعلائق الحياة جامدة لا تتحرك , ومن الطبيعي أيضا التفريق فيما يناله التطوير بين الثوابت والمتغيرات , ومن الطبيعي أكثر أن نحرص على ألا تنحرف عن المسار الحياتي القويم الذي صغناه من قواعدنا العلمية والحضارية .

لقد حمل التطور التقني معه كل مستحدث بخطة سريعة مذهلة لم يكد يفيق منها المتابع ، إلى الآن هناك مثل شعبي انكليزي يقول :

life is like riding a bicycle , to keep your balance you must keep moving.

أي أن (الحياة كقيادة الدراجة ، فلكي تحافظ على توازنك عليك الاستمرار بالحركة) .

إنه مثل قوي جدا يجسد عصب التطور الذي نعيش : الحركة المستمرة ، وضرورة الحفاظ على التوزان , وهما عصب التطور الضامن للنجاح ، فمن فقد أحدهما فقد شرط النجاح في التطور...

لا يهمنا طرح التجربة الغربية هنا ؛ فهذا يخص الغربيين ، ولكن يهمنا أن ننظر في قيمة المثل ، ومدى اشتمال واقعنا على ما يرمي إليه .

وأول ما يجب تقريره هاهنا أن هذا الترابط بين (الحركة) و (التوازن) سنة من سنن الكون المطردة الشاملة لكل ظواهره ، الماسكة لنظامه العام أن يقف أو ينتقض ، ففي قوله تعالى (لاَ ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلاَ ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ)[18] ما يدل على (التوازن) ، وقد قدم في الآية للزومه ، ولكون الحركة القاصدة الرشيدة منتفية بدونه مهما استمرت ، وفي قوله تعالى من نفس الآية (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[19] ما يدل على استمرار الحركة .

لكن الآية الكريمة أضافت توازنا آخر غير (التوازن الميكانيكي) الذي يشير إليه المثل ، وهو (التوازن السلوكي) المؤسس على (سلامة التقدير) بتحديد (وجهة الحركة) ، وحسن التدبير بسلوك (الطريق المستقيم) الموصل إليها .

فهل حافظنا على هذين التوازنين بقوة ؟ ..

الجواب جاهز ولا ضرورة للشرح .

هل حافظ المد الإسلامي الحديث على التوازن المطلوب وهو يجدد الديانة ؟ .. هل سار في الطريق الوسط المكتنف بين حافتي الإفراط والتفريط ؟؟ ..

أول ما يلزم التذكير به هنا أن العمل قد سبق العلم في مواقف الكثيرين ممن تحمسوا لإجابة دعوات التجديد الديني ، وسايروا رياح التغيير التي لم تكن في زمن أشد ولا أعتى منها في زمننا هذا ، ولا كان فيها من الإلحاح ما أحالها اليوم ذرائع هدم لحصوننا من الداخل .

وثاني ما يجب التنبه إليه أن دعوات التجديد الديني وافقت لدى الأمة الإسلامية هوانا سلبها ثقتها في أصولها الدينية والحضارية ، فصار الكثيرون من دعاة التجديد الديني يرونه المعبر الأقصر ، والجسر الأخصر إلى اللحاق بركب

---

[18] - يس : 40 .

[19] - يس : 40 .

التقدم وإحراز شروط التحرر من معيقات التحضر ، معتبرين أن قطار العولمة قد أقل الجميع ، وأن المتخلف عن ركوبه خاسر الخيار ، فاشل الرؤية .

وهؤلاء في اندفاعهم لا يستثنون من ثوابتنا شيئا ، ومنهم من تمادى في انفتاحه فأبطل كل الفوارق الدينية والتاريخية والحضارية ، بل عد أمة الإسلام مقطوعة النسب فألحقها بالغرب إلحاقا ، وجعل ولاءها له كما يجعل ولاء المملوك لمن أعتقه .

وما أصدق قول المتنبي في مثل هؤلاء :

من يهن يسهل الهـوان عليه

ما لجرح بميت إيـــــلامُ

لذا فإن دعوات إلى الإصلاح من هذا القبيل تشكل – كما يقول الدكتور محمد ساعي – (نتيجة منطقية ، وإفرازا طبيعيا لأمة أنهكتها عوامل الإضعاف والإذلال ، وزعزعة الثقة بالنفس والذات ، ولتصبح مبادؤها وقيمها ، وأصول شخصيتها ، ومعالم هويتها مرتعا خصبا لكل دخيل ، وحرما مستباحا لكل ذي نحلة أثيم .

إن أمة بلغ من عجزها أن تقاسم عدوها أرضها ، وأن تعترف له بحقها ، لهي لأعجز عندي من أن تطاوله بواقعها في صورته الحالية ..)[20] .

فهاتان قاعدتان ضروريتان للإجابة عن التساؤل القائم منذ قيام دعوات الإصلاح في العالم الإسلامي والعربي : (هل حافظ الدعاة الإسلاميون والعاملون في مجال الصحوة الإسلامية على التوازن المطلوب دون تمييع ولا تجميد ؟) .

وقد تعرض الدكتور القرضاوي لهذا المفهوم في كتابه " الصحوة الإسلامية" في مبحث من مباحث الكتاب محذرا من فكرتي:

التجميد والتمييع والتجزئة للإسلام. فكما نصون ديننا بخاصية التوازن الواجبة الالتزام , يجب أن نعي أن الإسلام يؤخذ كلا لا جزءا.. فلا يميل بميل الأهواء وتنوع الفتوى وتحولها بحسب متطلبات العصر الآنية, فهي مسؤولية غاية في الخطورة نبني من خلالها جيلا كاملا.. وترسانة فكرية تحمينا من أخطار مقبلة كثيرة.

فهل ما ورد في الكتاب من أسباب انغماس المسلم في هموم الحياة وهي:

التخلف، والظلم الاجتماعي والاستبداد والتغريب، والتخاذل أمام الصهيونية والتمزق، والتسيب.

من عوامل حادة الزاوية شائكة الدرب والمسار تؤدي إلى ما نخشى ونخاف على مسلمنا في عصرنا الحالي؟

يمكننا أن نعرف هنا أن الحفاظ على الثوابت يبدو من منظورنا الإيماني أهم من البحث عن التجديد ,ولكل بناء قواعده المؤسسة قبل أن يتعالى في الفضاء ولا نعلم هل هو متين القواعد أم مهتز الأركان, من هنا نفهم أن الوصول إلى التجديد عبر مسار سليم لا يتأتى دون أن يكون البناء متينا أولا فبناء مشيد في الهواء لن يدوم ولن يتعالى ويترعرع بنماء ثابت.

[20] – الخطاب الديني بين تحديث الدخلاء وتجديد العلماء : ص 3 .

وكما النبات يحتاج تربة تغذيه وتدفعه للنمو يحتاج ليضرب جذوره فيها, ودون تنقل بين تربة وأخرى.. قد يعرضها للتلف والتمزق والأذى.

فهل يسعفنا إدراك تلك الخصائص ، وهذه الأبعاد والأصول في تحقيق الحفاظ على توازننا الهام ؟ .

إن الحفاظ على الثوابت – من المنظور الإيماني – أهم من البحث عن التجديد , ولكل بناء قواعده المتينة الماسكة لتعاليه في الفضاء , لذا فإن سلامة المسار الموصل إلى التجديد رهينة بسلامة قواعده ومنطلقاته .

وهذا الذي يقرره الدكتور محمد نعيم سباعي ، ويعده شرطا في سلامة الخطاب الديني المرشح لتجديد الدين بقوله :

(لا يمكن للخطاب الديني أن يبتعد في جوهره ومضمونه وفحواه عن الإسلام نفسه في جوهره وفحواه ، لأنه المعبر عنه ، والمترجم له ، فإذا كان الإسلام في أصله ومضمونه أنه جاء للهداية والخير والصلاح وإرساء قواعد الحق والعدل وضمان السعادتين– سعادة الدنيا والآخرة – ، فإن الخطاب الديني لا يجوز أن ينقص عن هذا أو يعدوَه ، وسواء كان هذا الخطاب درسا فقهيا أو حصة قرآنية ، أو محاضرة ثقافية ، أو فتوى شرعية ، أو كتابا أو مقالة ، أو رسالة جامعية ، أو ندوة علمية ، أو خطبة في يوج جمعة أو عيد ، أو لقاءا تلفزيونيا ، أو برنامجا إذاعيا ، أو احتفالا بمناسبة دينية ، أو فلما سينمائيا أو وثائقيا ، أو عملا فنيا تلفزيونيا أو مسرحيا . أو .. أو .. ، كل ذلك يجب أن يكون نسخة صحيحة موثقة عن الإسلام نفسه .

فإذا رأيت في الخطاب الديني شيئا غير ذلك فاعلم أنه ليس خطابا دينيا ، وإنما شيء آخر ، سمه ما شئت، ولكن لن يكون أبدا خطابا دينيا ، لأن الإسلام بطبيعته لا يقبل التجزئة أو التحريف أو التخريق أو الترقيع .

فهذا عن الأصل في الخطاب الديني ومضمونه وفحواه بالجملة والاختصار)[21] .

وما لم يكن خطابا دينيا بهذه الشروط العلمية الواقعية فلا يمكن أن يكون خطابا صالحا لتحقيق الوسطية الضرورية للتجديد الديني .

إن نظرة أولية إلى واقع البشرية اليوم ترينا شعوب العالم مصنفة ومنقسمة إلى قسمين , قسم منتج ، وقسم مستهلك لكل جديد فقط .

يقول الدكتور عبد الكريم بكار محللا هذا الوضع :

(نعني أن هناك أفكاراً وقيماً وأساليب وآمالاً وطموحات تهيمن على معظم شعوب الأرض , ونفوذها آخذة في الاتساع يوماً بعد يوم .

لكن شعوب الأرض تنقسم اليوم إلى قسمين : قسم ينتج ، ويحقق كثيراً من مبادئ هذا الزمان في حياته اليومية , و قسم يستهلك , ويتمنى أن يصبح عصريّاً , ويخطط لذلك)[22] .

---

[21] – الخطاب الديني بين تحديث الدخلاء وتجديد العلماء : ص 71 – 72 .

[22] – عصرنا والعيش في الزمان الصعب : ص 4 .

ويتجلى تأثر الشعوب المستهلكة بكل طارئ جديد ، وأسباب تزعزع ثوابتها أمام زحف الشعوب المنتجة التي تملك القوة الإنتاجية العلمية والتقنية والفكرية في عامل الانبهار والعجز عن اللحاق بها مبدئيا , من هنا يبرز دور المجدد الذي يستطيع إمساك العصا من المنتصف, فلا هو تخلى عن الثوابت بل عززها, ولا هو نفى التجديد ولا اندفع بعشوائية إرشادية توجيهية يؤيد انهيار الجيل بكل جديد طارئ ويسايره دون موقف حازم محدد من قبل واضح المعالم جلي الهوية والصورة.

يضيف الدكتور بكار بهذا الصدد :

(لا ينبغي أن نختلف أن الدول والشعوب التي تنتج القيم المعاصرة , ونظم تحقيقها ووسائله هي الأمم التي تترك أقوى البصمات على العصر الذي نعيش فيه , من خلال ما تضعه من شروط ومواصفات للعيش والارتقاء الحضاري , ومن خلال الهيمنة الأدبية والمادية التي تمكنها من الحراك الأولي والاستفادة من ضعف الضعفاء وجهل الجهلاء واحتراب الخصوم والأعداء ....)[23] .

من هنا نفهم الكيفية التي تمر من خلالها الحضارة الغربية من بين صفوفنا ، إن وجدت فرجة وثغرة, فتزعزع قواعدنا المعرفية والدينية والفكرية .

وما نعنيه هنا ليس تأثرنا بما صنعه المتقدمون علميا فقط, بل الوصول لمصدر التأثير وتفهمه ومواجهته بقوة وصلابة والاستفادة بما يناسبنا ويتواءم مع مبادئنا الإسلامية، وجعله منطلقا لجديدنا نحن , ونضيف على هامش الفكرة , أن كلمة (متحضر) لا تعني ما قدمه الغرب حصرا ؛ فمفهومها أكبر من هذا بكثير , لأن الحضارة تترافق مع العامل الإنساني والفكري والعلمي والروحاني في آن ، وهذا إلى الآن لم يتحقق حاليا لو دققنا وأمعنا النظر بعمق .

ومما يؤلم بحق السؤال التالي :

هل نحن أمة متأثرة أم مؤثرة ؟ ...

والجواب ظاهر لا يحتاج لمزيد من الشرح , بل لمزيد من التفكر..

يضع الدكتور قاسم المحبشي أيدينا على مربط الفرس فيقول :

(التأمل العميق والدقيق في المنظومة الفكرية الواسعة في الدراسات التاريخية : أن نمتلك رؤية منهجية نقدية عقلانية أسوة بسلفنا التاريخي العظيم عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي الذي قال رأيه في التاريخ فأحسن القول)[24] .

نرى في هذا التوجيه اعتزاز واضح بهذا المؤرخ، لكن الحق أن لدينا ما يكفي من الكتاب والمفكرين والفلاسفة , ولكن من يسمعهم ؟ ، ومن يأخذ برأيهم ، ويقبل على أفكارهم ويناقشهم بها ؟ ، ولماذا هذا الصمم العربي العام ؟

هنا الإشكال ، وإلا فالفكر العربي غض وفعال بآن ,لا يتوقف عن العمل أبدا ، بل فكره قد ظهر من خلال واقعه المزري وقد قدم صورا كثيرة عن واقعه المحزن من خلال كثير من الكوادر الرائعة حقيقة ,غنه يحتاج لمزيد من الأوكسجين التشاركي والإنعاش الحركي, والتأييد المؤسساتي.

هنا نعرج على وعي الأمم لنبحث من خلالها عن العلة ، يقول الدكتور بكار في هذا المقام :

---

[23] - عصرنا والعيش في الزمان الصعب : ص 6

[24] – تابع مقاله على هذا الرابط :

http://www.14october.com/news.aspx?newsno=101960

(إن وعي الأمم بما لديها يظل غير مكتمل ما لم يتوفر لها كيانات مناوئة , تختلف عنها اختلافاً بيّناً , فتتمكن بذلك من المقارنة والموازنة والمحاكمة والنقد والمراجعة والتصحيح)[25] .

نعم تماما , هو وعي غير مكتمل ولما ينضج بعد ، وإلا لما قلدنا بهذه الطريقة العمياء ..أم أن نقص الدعم الحكومي والمؤسساتي فعلا أحبط الجيل وتركه نهبا للوسائل المهترئة التي لا تقدم ، ولا تؤخر...

قد يقال : إن الإلمام الشمولي في عالم التخصص بات مستحيلا ..

ولكن نقول : إن التخصص نفسه بات تطبيق نظرياته حاليا وفي واقعنا العربي حصرا في أضيق مجال ، وهو استهلاكي محض ، أما الإبداعي فلا يمكن تحقيقه مادام لا يحقق وفرة مادية تتيح الوقت لمعالجة كل أمر إبداعي علمي أو غير علمي , وهكذا أدى العامل المادي والعوامل السالفة الذكر في مقولة القرضاوي إلى انحصار كل الإبداع في مجال ضيق يدر ربحا !! .. ، فما نهاية الدرب الربحي في عالمنا الاستهلاكي ؟

يجيبنا الدكتور بكار هنا قائلا : (عند محاولة النظر في المرتكزات والأسس التي تشكل ملامح إحساسنا الحضاري , وتصوُّرنا عن التخلف والتقدم والنهوض– نجد أنها دائماً تتبلور عن طريق تداخلها مع ما يثمر الاتصال بـ (الغرب) باعتباره (الآخر) بالنسبة إلينا ، فالمسلمون لا يأبهون كثيراً لما يقع في الصين أو اليابان أو روسيا , ولا لما يتم إنجازه هناك , باعتبار أن تلك الأمم – مهما كانت مغايرة لنا – تمثّل بالنسبة إلينا كيانات مغايرة أكثر من أن تكون منافسة , على حين يرون في أوروبا الغربية وحفيداتها من نحو أمريكا وكندا وأستراليا جهات مضادة ومناقضة)[26] .

يبقى السؤال الملح الذي يفرض نفسه كلما ابتعدنا عنه :ما هي مقومات التجديد لغد أفضل ؟ ..هل نعاني من نظرة محدودة الرؤية؟ أم هي أمر تراكمي قديم تظهر آثاره الآن وبقوة أمام المد التطوري العلمي؟

نبدأ بما قاله الدكتور بكار :(إن الأمم التي تعلم وتدرب بطريقة أفضل هي الأمم المرشحة لان تتبوأ القمة , وهذا ما نشاهده اليوم في حياتنا , فمعظم الأمم ذات الدخل الاقتصادي المرتفع (أوروبا واليابان نموذجا) لم يتحسن اقتصادها بسبب ما تملك من ثروات , وإنما بسبب توظيف العلم والمعرفة وتقدم الصناعة)[27] .

في الحقيقة وقبل أن نردد دوما أن هناك مطلبا هاما تربويا يقع على الأهل والمؤسسات التربوية الثقافية , لنعرج على الخطة المدرسية في الوطن العربي ونقارنها بمدرسة الغرب على سبيل الاستشهاد :

يملك التلميذ موهبة دفينة تنتظر الصقل والعناية , وفي خضم المنهاج المدرسي الخاطئ الشاحذ للذاكرة فقط دون الحوار والنقاش العلمي نراها تتراجع وتتكمش رويدا رويدا ، وربما ماتت أو ضمرت واضمحلت إلى غير رجعة , ويقضي التلميذ اثنتي عشرة سنة مدرسية كافية للقضاء على ذروة الذكاء الفطري الذي عنيت النظريات العلمية بالتركيز على أهميته, بينما في الغرب يمكن للطالب عند إنهائه للمرحلة الإعدادية أن يتعرف على مكامن هويته الثقافية ويتجه مباشرة للجامعة كي يدرس في مجال نبوغه , وهذا ما نفقده حقيقة في مناهاجنا التربوية ، وكلنا نتساءل باستمرار وإلحاح : لماذا ؟ ؛ دون أن نجد جوابا من جهة متخصصة .

فكيف يمكننا – في ظل الظروف المتاحة في العالم العربي والمعطيات المتواجدة في الواقع – أن نشخص الأمور ؟.. يقول الدكتور بكار حول هذا الأمر :

---

[25] – المرجع المذكور سابقا : ص 7

[26] – المصدر السابق : ص 8

[27] – بناء الأجيال : المقدمة .

(إن العلم لم يوصل المتعلم إلى طريق الهداية , أوجد لدى صاحبه استعدادا للتساؤل عنها وقبولها , والتربية الصالحة وإن كانت ليست مطالبة بتوفير فرص عمل الشباب , لكنها تؤهلهم للتلاؤم مع الفرص الموجودة والفوز بها) [28]

.

من هنا نجد أن المركب قد ينحرف ببعضهم وهو ينشد التجديد المستمر في المجتمع دون حثه على الفاعلية ؛ اكتفاء بوظيفة التلقي والاستهلاك , لذا وفي حالة التناقض بين مسار التربية المدرسي ومسار المؤسسات الثقافية والمنزل ؛ سنجد نماذج متنصلة من الرسالة التي يجب أن يحملها الشاب لصالحه الشخصي حصرا ، خاصة عندما تحاصره الظروف ، ولا يجد قدوة صالحة ، ولا منارا هاديا بقوة .

من هذا الوجه يصر الدكتور البكار على البحث في جوانب شخصية الفتى (للتعرف على مكامن النبوغ فيه ، وهذا أقل الواجب قبل أن نوجهه ونبحث له عن مخرج مرض ، قبل أن يقع فريسة تصادم المؤسسات التربوية من حوله) [29].

ثم يسرد في الصفحة 14من الكتاب تبويبا للخطوات التي يجب أن يتخذها المربي كي يقوم بواجبه خير قيام :[30]

1– التعريف الجيد بالله تعالى وأنه مصدر كل عون ومؤازرة .

2– تعريف الناشئ على شمولية الإسلام .

3– تثبيت الأخلاق الفاضلة مهما كان من حوله من منغصات ومضادات .

4– تعزيز روح الانتماء للأمة الإسلامية والإسلام .

5– بث روح الإصلاح والعمل في هذا المجال .

6– تأكيد مبدأ العلم للعمل .

7– محاولة مساعدة الطالب على مساعدة ذاته بذاته .

8– أهمية تحمل مسؤوليته بنفسه في جل المجالات .

9– محاولة تنقية ذهن الطالب من المشوشات والمفاهيم المغلوطة .

10– تصعيد روح الاستنباط والاستنتاج والاستقراء للواقع .

11– استعمال قويم وقوي للغة العربية .

12– رفع وتيرة روح حب الاستطلاع .

13– تنمية روح النظرة العلمية في كل مجال .

14– تكوين العقل المثقف بعد ذلك بكل مقوماته .

15– التدرب على إيجاد الحلول البديلة والمرونة في تعاطي الواقع .

16– القوة والحزم في اتخاذ القرار .

17– تزويد الطالب بقوة الاستمرار في عالم البحث الأكاديمي .

---

[28] – بناء الأجيال : ص 10

[29] – نفسه : ص13 .

[30] – نفسه : ص 14 .

18- تعزيز احترام المعرفة .

19- تكوين فكر الإنسان الحر والمنطلق بفكره للأفضل .

20- تعريفه بمقومات النجاح .

21- متابعة الأحوال الواقعية حوله وتبصره بالوعي في المتابعة .

22- إطلاعه على سر تقدم الأمم .

23- مساعدته للتعرف على منافذ كسب الرزق .

وهنا أظن أن مهمة المربي باتت متكاملة تماما .

فما هي عيوب التربية والتي أدت إلى انحراف مركب التجديد ؟ ...لأنها الورد الأول والسبب المعول عليه بداية:
يقول هنا الدكتور بكار – ويتهم التربية من جديد – (بتصرف) :

(لو عدنا للتربية الأسرية التي تلقيناها عندما كنا صغارا , وإلى أسلوب المدارس والتعليم , لوجدنا أن الكبار كانوا يمارسون عملية إلغاء للصغار , فتكلم الصغير أمام الكبير مخل بالأدب الرفيع , وسؤال الطالب لأستاذه تشكك بمعرفة الأستاذ , وأحيانا في أمانته , رغم أن تاريخنا حافل بنماذج من المناظرات القيمة..!! ، وكل يحاول إلغاء الآخر!. لأنه ينطلق من اعتقاد خاطئ ؛ هو أنه على حق ، ولا يشوب مفاهيمه شائبة!. ، وهنا نكون قد مارسنا الإلغاء في حالة الصمت ، وفي حالة المثاقفة)[31] .

نؤكد كما أكد الدكتور أن للحوار فنه الخاص به ، والذي لا يحسنه معظمنا , فإضاءة نقطة مظلمة من الحوار – قد لا تلفت انتباه المحاور الآخر – أمر هام جدا في ميكانيكية الحوار وجدواه , وبهذا سيكون الحوار هادئا بناء ومهما , حقيقة يمكننا القول وبهمس ربما جل من يمارس الحوار لا يتقن الحوار أيضا...لكنها محاولة هامة في واقع يريد التحرر من القواعد الاجتماعية التي لم تعد صالحة في معظمها لمسايرة واقع متغير بعنف.

ويرفد البكار هذه الفكرة بألم قائلا : (إن طلابنا يملكون الكثير من الرؤى والأفكار الجميلة , لكننا مشغولون بشرح المناهج والمقررات)[32]

أجل ؛ يغيب عن ذهننا أننا هنا إنما نجدد أنفسنا , نساعدهم كي تكون حصة الدرس أكثر فاعلية وتطورا , وأكثر إيجابية رغم ضيق الوقت المتاح ... ، وكل شيء في عالم الثقافة يحتمل المراجعة والتطوير .

وهنا يبرز العامل الذي نراهن عليه ، ونحرص على الإمساك به : التطور دون الانحدار إلى هوة تخريب المبادئ ، وزعزعة والثوابت , هو أمر صعب بداية يصبح مرنا عند المحاولة بجدية ودراية ودراسة عميقة باقتدار.

يقول الدكتور البكار في هذا المجال :

(إن تأكيد الهدي النبوي على ضرورة الامتناع عن ارتكاب المنهيات والوقوع في المحظورات يهدف فيما يهدف إليه إلى أن يكون الخطأ واضحا في أذهان الأطفال على نحو لا لبس فيه , وبذلك يتأسس لديه نظام القيم ,

---

[31] – بناء الأجيال : ص 26 .

[32] – نفسه : ص 27

ويصبح الوقوع في الخطأ سببا لتأنيب الضمير ولوم النفس ، قال عليه الصلاة والسلام : (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم)[33] .

نعرج على الأسباب الخارجية التي تنحرف بالتجديد إلى الهوة المخيفة :

تمارس العولمة مهمتها الخطيرة في تفكيك الأسرة العربية ، ناهيك عن مبادئها الأساسية ، وهذا ما يؤكد عليه الدكتور البكار[34] ، ناهيك عن إضعاف روح الانتماء إلى الدين الحنيف بهدم رموزه الأصيلة بطريقة أو بأخرى , فيصبح الجيل مشتت الذهن ؛ لا يجد من يستأهل الرفع لاتخاذه قدوة شبه معصومة , وإن استجابة الجيل لتلك الهجمات مؤشر خطير على تقصيرنا وانسحابنا مع التيار الهجومي الماثل في كل الدروب , لذا فما سبق من خطوات مبينة يجب أن تكون رديفا للتربية بصبر وأناة وحكمة . وتبدأ مؤقتا من تقبل الفرد لظروفه المتاحة كي يستطيع المضي بأمان , ومن ثم لما ينضج فكره وتتسع موارده وتقنياته يفكر في الإصلاح والتغيير , وسيبدأ في تقييم عالمه التربوي المدرسي ؛ فلسنا في عالم معزول حتى نتقبل كل شيء على عواهنه ، وتبقى نقطة الإخفاق بداية جديدة للنجاح .

ولعل تنمية الفكر النقدي هنا مفتاح للتجديد القويم إن كان الفكر مؤسسا بعناية , خاصة مقدرته على القراءة للكتب والواقع بنظرة فاحصة ، لا ببغائية حافظة .

ولعل تقدير ما لديه من نعم نقطة خطيرة في تقدير ما نضع بين يديه من مهمات , فهناك شريحة غير قليلة تستسهل تعاطي الواقع لدرجة الاستهتار ، ويباغتنا هنا سؤال :

(كيف ندعم المربي ماديا ومعنويا ليكون قادرا على العطاء بقوة وصدق ؛ بعد أن بدأت تتفلت خيوط الاحترام للقدوة ؟) .

للأسف هو أمر مؤسساتي خالص يتيح المجال للاجتهاد الشخصي حال فقدان الدعم الخارجي ، فكيف نضع الدافع للعمل هنا ؟ ..

سنعود إذا إلى نقطة الرادع الأخلاقي والقيمي والديني ، وهو مرجعنا دوما ... ، ناهيك عن توخي الفكرة التفاعلية ، والتي تخفف عن كاهل المربي عبئا ثقيلا جدا .

إن معاملة الناشئة أمر خطير وصعب في آن ، ولهذا يقول الدكتور بكار :

(كثيرا ما تحولت الفضائل إلى رذائل ، وبعض الميزات إلى نقائص وسلبيات ؛ لا لشيء سوى أنها فقدت سمة التوسط والاعتدال)[35] .

نعم هنا المعضلة التربوية وقلة المرونة والتوزان التربوي ، يجسدها تساؤلاتنا المستمرة التالية :

–لماذا انخفضت محصلة ابني في هذا الفصل الدراسي ؟

–لماذا تراجع تلميذي في تلك المرحلة بعدما كان متفوقا ؟

–ما هو السبب ؟ هل هو أنا أم المنزل ؟ المدرسة الخ ...

إن الموضوعية في معالجة أمر ما سمة هامة في مشكلات كهذه ، ونحن نقف مكتوفو الأيدي لا نجد سوى الحزم والشدة ملاذا .

---

[33] – أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام .

[34] – بناء الأجيال : ص 48 .

[35] – بناء الأجيال : ص 144 .

قد لا يمتلك الطالب روح الاستقلال , أو أن هناك منغصا نفسيا ما , ... أو لنسلم أن التعاون بين المدرسة والمنزل أمر شبه مفقود حقيقة ، والصفة الدراسية الببغائية هي السمة الطاغية في منهاجنا ، فكيف نطالب الفتى بفكر علمي ونحن لم نزرع فيه برعما ؟ ..

أذكر أن مربية شرحت لي تعلق فتى بمدرسته لأنه يكتب لها بعد جولات النهار الدراسية مشكلته المنزلية في هوامش الدفتر ، ويتعاونان على فك رموزها وحلها ! .. فهل هناك الكثير من تلك النماذج ؟ .. لا أظن .

إن هناك أساليب علمية كثيرة يمكننا الاستعانة بها هنا :

القصص الواقعي , النقاش حول مسالة ما , فرص حوارية تنفيسية استدراجية لفك الضغوط النفسية إن وجدت ، وتبقى سياسة الحزم حاضرة حال خفوت السبب الهام للإهمال العلمي .

حقيقة لو استعرضنا الإحصائيات حول الأبحاث العلمية التي تجري في الجامعات العربية وغرارها من الخارج لفهمنا سبب نشوء جيل متصلب متكلس ؛ غير قابل للتطور الصحي المرن .

– تخصص الجامعات العربية 1% من جهودها وميزانيتها للبحث العلمي

– الجامعات الغربية 97% من ميزانيتها وجهودها في فلسطين المحتلة:1998:

– سجل مكتب العلاقات التجارية الأمريكية:557 اختراع بينما سجل العرب:24 اختراع!.

وهذا أدى إلى ترابطه مع عامل التحصيل :

6% من عموم المجتمع من الجامعيين في آسيا:14% من عموم المتجمع

وهذا لا يقارن بطريقة ما مقابل ارتفاع التحصيل العلمي الكبير في الغرب[36] .

أما حالات القصور الفطري والجيني والذاتي ؛ فلا مناص من توجيهها حتى لا تكون قوة معطلة في المجتمع ، وتلك أيضا منوطة بتفهم مؤسساتي كبير لا يجد من عامل التربية العناية الكبيرة .

يشرح ذلك الدكتور البكار في فقرة أخيرة من كتابه باختصار :[37]

(إن ما تراكم عبر القرون لا ينتهي ويحل بسرعة وفورية , ولابد من محاولات حثيثة وصبر كبير كي تنقشع بعض غيمات قد تفتح الباب لوعي جديد وفكر مثمر , ولابد من تآزر المسجد والمدرسة والمنزل لتنشئة جيل لم تعد الأسرة المسئولة الوحيدة عنه ، ولن تقدر .

****

مما لاشك فيه من أن العنصر التربوي يبقى مترابطا سلوكيا مع الدين , لأنه يستقي المثل والقيم المستقيمة منه. وهل هناك حياة بلا قيم؟, وإلا لفقدنا ميزة الإنسانية.

من الطبيعي لكل بيئة دينية وثقافية ان تبحث عن شيء من الثبات في عصر سريع التغير, وليس كل أمر قابل للتغيير, وهذا أمر بدهي معروف...هي أهمية التوزان التي بحث عنها أي

إنسان في أي مجال, يمكننا دعم هذه الناحية بالحوار والنقد والنقد المضاد والتصويب, لكن الوجه الثاني للمسألة يكمن في امتصاص المفيد منها ونبذ المسيء لأسسها المكينة, وخاصة أمر الهوية

---

[36] – نفسه : ص 166 .

[37] – بناء الأجيال : ص 175 .

والثوابت الشرعية, فاالانغلاق لم يكن أبدا إلا ضحالة وتضاؤل وتعصب, فقوة حضارة ما تقوم من خلال نتيجة تعاملها مع الخارج ومدى إفادتها دون أذية كبيرة تذكر, وهذا يتحقق بوجود أئمة ومرشدين وموجهين كفء يتابعون بوعي وحراك وتطور حكيم وموضوعية وهذا ما دعا إليه الدكتور البكار وشدد عليه بقوة.[38]

ويمكننا أن نضيف هنا من حيث المبدأ أن الاقتباس والامتصاص , لن يكون بطبيعة الحال على حساب المبادئ , فالمصلحية والأنانية المادية التي تظلل سلوك الغرب كاملا , لا ينطبق على مبادئنا بحال, وإلا لسرى هذا الداء على مختلف المجالات ولعمت الفوضى الحقيقية

والفساد العام الذي قد يتجذر بشكل مرضي سرطاني, وقد ألمح لذلك الدكتور البكار لذلك لكننا نصر على خطورة هذا المبدأ الذي يجب ألا نحيد عنه قيد أنمله.

يمكن لقائل أن يقول:

إن السياسة العالمية لو عوملت بمبدئنا الديني النظيف هذا وسط الكذب وتسويق المكيافيلية التي تحافظ على مصالحهم لما استطعنا مواكبة العصر أبدا ومن هنا جاءت الحركات الكبرى لتعزل الدين عن الدولة.

حقيقة هنا يجب أن نطالب الكوادر المرجعية والنخبة المفكرة معا بإيجاد مخرج شرعي لا يعزل ولا يسبب الأذى لكل من تبنى المبادئ الشرعية كمسار حياة كاملة, وهنا يبدو التقصير الكبير الذي بات ضعفا تغلبت عليه قوى الغرب المسيطرة.

ويجب أن نؤكد على أن النخبة تنحط حين تتخلى عن واجباتها تجاه المجتمع , وعملها هو زيادة لها وترقي, ومن لم يكن في زيادة فهو في نقصان ..

يشرح هذا الأمر الحيوي العام الدكتور بكار في كتابه: مدخل على التنمية المتكاملة قائلا(بتصرف):

مهما ترقى المجتمع سيبقى ينقسم إلى خاصة وعامة وتابع ومتبوع.. ولان العامة بشكل عام عاجزون عن إدراك أبعاد الواقع الحقيقية وتداعياته فهم هنا يعتمدون على الصفوة لاختيار الملائم لهم ورد الفعل المناسب,

ومعالمها معروفة من توجيه وتعليم قال تعالى في كتابه العزيز:

آل عمران (آية:**187**):

وإذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون [39]

وهناك مفارقة مدهشة نراها ولا نكاد نجد لها حلا ولا سببا رابطا يجعل المنطق عنصرا أساسيا فيما يجرب وهو التفلت أيام الشدة! فما هو وجه الارتباط بين التراجع الحضاري والتفلت؟, ومن هنا يحق لنا تعريف الفقر والعوز والتراجع ومن هو السبب وما دور المفكرين والمثقفين هنا :

يقول الدكتور البكار عن هذا الموضوع[40] :

---

[38](انظر كتاب الدكتور عبد الكريم بكار مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي من ص **61-63** التبادل يحمي الثقافة من الذبول)

[39]انظر ص **254** من الكتاب المذكور

ليست الأمة الفقيرة التي لا تملك المال أو الموارد الكافية وإنما التي تتلفت في أيام شدتها وحيرتها فلا ترى مفكرين عظاما أمناء ينصحون لها ويدلونها على طريق وينمون خبرتها النقدية .

فما هو تعريف المفكر أو لنقل المثقف القيادي في زمننا للحاضر؟

يمكننا الاستعانة بما ذكره الباحث أسامة عكنان (بتصرف):[41]

(لا أستطيع أن أتخيل مثقفا يستحق هذه الصفة إذا لم أره في مقدمة الصفوف......لا أستطيع أن أتصور مثقفا يتبنى قضايا أمته ولا يكون على النحو المذكور. أرجو أن يقنعني أيٌّ كان بغير ذلك إن كنت مخطئا، مع اعترافي بأنني لا أسحب صفة "مثقف" عمن لا يتصف بهذه الصفات من المثقفين والمبدعين، ولكني فقط أعتبره مثقفا غير نموذجي، قد يكون عبئا على مجتمعه أكثر من كونه عونا له) .

حقيقة ما ذكره الباحث هنا يفصل بين مثقف فعال وغير فعال وهنا بيت القصيد الذي نبحث عنه بقوة...وإذن هل تقصيره كان سببا في تكريس التفلت ؟

هذا فكريا وثقافيا وسلوكيا ولكن ماذا عن العنصر الأخلاقي؟

فهو محور هام جدا يعتبر نقطة انطلاق لأي عنصر آدمي في معركته مع الحياة.. فبدونه لا يعد إنسانا أبدا..

نسوق عنوانا هاما في كتاب للدكتور البكار في كتابه المذكور آنفا :

(يستسلم العقل عندما تضعف الأخلاق...)

ماذا يعني هذا؟ ومتى يستسلم العقل عندما تشرد الأخلاق , فهل هذا فعلا ما يحصل وبانجراف؟.

, يقول الدكتور في هذا المقام :

إن كثيرا من الدول الإسلامية ضحت بأخلاق الناشئة لديها وتركتهم مكشوفين أمام التيارات الشهوانية الرهيبة رضوخا لما يأتي بعد الانفتاح من (بركات).

نعم ويبقى السؤال من الذي يعيد البوصلة لجهتها الأصلية؟, البيت ؟ هل النخبة ذاتها بكل ما فيها من عيوب؟

ما هو العنصر الفاعل والعلاقة الترابطية هنا ؟

يقول البكار في الكتاب المذكور:

هناك علاقة جدلية بين الذات والموضوعية فحين تسوء الظروف الاقتصادية والاجتماعية فان الناس يعتمدون في تحسينها على جهودهم الاستثنائية ، كما أن الظروف تغير في أخلاق الناس وسلوكاتهم وعلاقاتهم و.. وو[42]

من المجحف بحق أن ننقد دوما من ندعي تشدقه بدعوى سيطرة وتجني الغرب حضاريا وفكريا وسياسيا على العالم الإسلامي ، وهو قول حق وعينه لنبدأ بأنفسنا رغم كل المعوقات والعقبات حتى لو كانت خارجية ..

يقول البكار في كتابه (نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي) :

---

[40]انظر في نفس المرجع السابق

[41]انظر رابط اللقاء

http://www.omferas.com/vb/showthread.php?32646-لقاء-الفرسان-مع-الباحث-أسامة-عكنان&p=136542#post136542

[42] انظر صفحة 31 من الكتاب السابق

يرتكز النظام الدولي الجديد على توسيع دائرة دور الأمم المتحدة في التدخل في شؤون الدول وحل الصراعات أو إدارتها لان العالم الغربي هو الأقدر على تمويل عمليات قوات الأمم المتحدة وجمع الأموال لها وإن تلك المنظمة الدولية سوف تكون قناعا للدول الأقوى التي تقف خلفها .[43]

العقلانية الدينية :

من المحزن حقيقة أن نجد كل تجديد ديني يبدأ بعقلانية موفقة إلى حد ما يتبعها انحراف فكري ؛ ما يجعلها نهبة للنقد والانزياح عن المبادئ التي تبنتها بداية...وإذا آمنا بأن الرياضة الدينية والروحانية أمر رائع جدا ؛ يعيد الحيوية للممارسات الشعائرية فإن هناك بعض إضافات غير عقائدية تفسد عليه الأمر...

وما جعلنا نتطرق لهذا الأمر الهام الأمر التجديدي الذي تبنته بنية التنقية من الشوائب الشعائرية فأضافت وأضافت حتى انزاحت عن البدايات الموفقة .

يوضح الداعية الإسلامي محمد إقبال هذه الناحية بشكل أفضل في كتابه : (تجديد التفكير الإسلامي) ، فيقول :

(لقد عملت المذاهب الصوفية الصحيحة عملا طيبا من غير شك في تكييف الرياضة الدينية في الإسلام وفي توجيه خطاها , ولكن الممثلين لفكرة التصوف في العصر الأخير , بحكم بعدهم عن نتاج العقل الحديث , أصبحوا عاجزين تمام العجز عن قبول أي إلهام جديد من الفكر الحديث والتجربة العصرية)[44] .

بصرف النظر عن موضوع الرياضة الدينية لننظر معا عن مفهوم التجديد من خلالها , حقيقة نحن بحاجة ماسة لتفهم فكر ولاة تلك المذاهب كي نتفهم بعد ذلك هل استطاعوا تلبية متطلبات العصر دون تمييع ولا تجميد ؟ ..

فلا الجيل قادر على تسويغ القيود التي ترجحها العادات عن الأصول الدينية ، ولا تقبل التغيير الذي يكرس التأقلم مع جديد العصر , بانزياح قوي عن الأصول!!.

ولو سألنا ما سبب هذا البعد عن العملية في الحركة التجديدية والتأقلم مع تغيرات العصر؟, لوصلنا لحقيقة الأمر...

يمكننا فهم الفكرة بشكل أعمق من خلال كتاب الأستاذ أسامة عكنان (تجديد فهم الإسلام) :

(إن أي حديث عن النهضة إنما يقوم في الأساس على الاعتراف غير القابل للجدل بحالة التَّخلف ، باعتبارها حالة الواقع الذي نسعى للنهوض به .

إن هذه الحالة التي نتحدث عن ضرورة التخلص منها بالنهضة ، إنما حدثت في الأصل بسبب عدم قدرة أفكارنا على التجاوب مع متطلبات واقعنا في صيرورته التاريخية ، كما فرضت نفسها علينا في خضم أشكال المواجهات والصراعات المختلفة التي نَسْبَحُ في أتونها .

لا يمكن لأمة أن تنهض ما لم تنطلق في معركة نهضتها من معالجة النقطة التي سببت الانحدار والتخلف ، ألا وهي البُنْيَة الفكرية والمعتقدية التي حصل ذلك الطلاق المُرَوِّع بينها وبين حركة الواقع مؤديا إلى ذلك الانحدار) [45] .

[43] ص 136 من الكتاب المذكور سابقا
[44] من مقدمة الكتاب المذكور
[45] مقدمة كتاب الكاتب المذكور

من جهة أخرى يمكننا الإضافة لدعم ما ذهبنا إليه بالدروان من جهة أخرى هامة أيضا , حيث يمكننا استحضار شاهد ليس على سبيل الاقتداء وإنما على سبيل التحفيز لنتعرف علة مدى تخلفنا في استثمار مكامن طاقاتنا ، وعدم الشعور بالمسؤولية تجاه النعم التي حبانا الله بها..

يمكننا الاستعانة هنا بجديد الأبحاث حول تنظيم حياتنا بشكل عقلاني ، وما هي القدرات التي نملكها قياسا بغيرنا ، ومن ثم إسقاطه على الشطر الديني فيه :

نقتبس وجهة نظر الدكتور طارق سويدان وبتصرف حول مقارنة القدرات التي قام عليها الكيان الصهيوني ، وكيفية بروزه في استثمار القدرات الأساسية مقارنة بما نملكه ، وما يجب أن نستثمره : [46]

القدرات الأساسيات التي قامت عليها كياناتهم على قباحتها :

1– الجدل : وهي امة تمتهن الجدل في كل شيء ، ويكفينا سورة البقرة لنعرف هذه الصفة المتأصلة فيهم ، وقد تكلما عنها في الكتاب بكل جرأة ، وإنهم استثمروها لصالحهم تماما : ينشرون قضاياهم بطريقتهم الإعلامية البارعة ويكتسبون خير الآراء !!! ... من منا يكسب خير الآراء ؟

2– الوقاحة : لا يتوانون لصالحهم العام من استثمار هذه الصفة في إنزال وحذف وبتر أي عضو يهدم منشأتهم التي يبحثون عن بمائها , وهو يوردون هنا أن لا أمم متحدة ولا حتى أمريكا قادرة على الحد من طوفان مدهم !!! .. الوقاحة صفة متأصلة أيضا فيهم..

ومن يذكر مركبة تشالينجر يعرف تنبيه المهندسين الذين تجاوزهم العموم في ناسا ، ولما حدث ما حدث تذكروا !! ..

3 – عدم الخوف من الفشل وهذه صفة إيجابية خطيرة تعتبر من أهم أسرار شخصيتهم..فقد استثمروها لإصلاح مسارهم وللتطوير , وكم أسقطت رؤوسا ورفعت رؤوسا لإعادة الحسابات من جديد بعد فشل ذريع.. وهذا ما يفسر لنا تتالي الوجوه القيادية بكثرة في الغرب...بصرف النظر عن أهميتها وغير ذلك..

أما ماذا نملك عربيا من قدرات أساسية:

1– العاطفة الغضة الجياشة : وهنا يمكننا استغلالها على اندفاعها وتهورها أحيانا أخرى للوصول لغاياتنا من أقصر الطرق ، وبأيد شبابية.

2–حب الدين : وهو قاسم مشترك على تفاوت درجته مما يعطي صواب الدور التي تعيش في الشخصية العربية

3–الشرف والعز : وهي صفة أصيلة من الحمية والعزة ولا يمكن بحال ان نجد هنا إعرابا لمقولة من ضربك على خدك الأيمن فأعطه الأيسر , وإلا لخسرنا كل قضايانا وهنا مكمن ثمين : رد رسولنا الحبيب على مقولة : ليخرجن الأعز منا الأذل لليهودي الذي حاول تأليب الأنصار على رسولنا فقال :

(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

مقولة للحسين رضي الله عنه معروفة : هيهات منا الذلة

---

[46]: كتاب Startup Nation/أمة الشركات الصاعدة
http://www.omferas.com/vb/showthread.php?32650-كتاب-Startup-Nation-أمة-الشركات-الصاعدة&p=136256#post136256

رفض الشهيد سيد قطب كتابة استرحام لفك عنقه من الإعدام وتوليه مناصب عليا فقال ما معناه : تأبى سبابته أن تنحني لتكتب استرحاما تذل الأمة من بعده..

4–القوة البشرية : والتعداد الذي يعد خمس العالم إسلاميا حتى.

5–الأمة الشابة : وهو عنصر هام وخطير تتميز به الأمة العربية والإسلامية حصرا , .

هناك موقع خاص بالإحصائيات يمكننا أن نعرف من خلاله كم يحسب الغرب الحسابات للمستقبل البعيد ، ونحن مازلنا نبحث ماذا نأكل غدا !! ، إنه موقع غلوبال [47] .

ماذا نعني بهذا ؟

نعني أننا نملك مفاتيح التجديد ولكن لم نستثمرها جيدا بعد.. وهذا تقصير فادح معيب ومحزن جدا , فمتى يكون هذا ؟ ، وكيف سيكون ؟ ، وبأي أسلوب؟ ، وهل هو مؤسساتي صرف أم تربوي فردي الإمكانية أولا ؟ ...

يمكننا هنا البحث عن أهم العيوب التي نجدها هي العنصر الفاعل في تراجعنا :

1 – التطرف في استثمار عنصر الانفعال والعاطفة :

يقول في هذا المقام الدكتور بو بكر جيلالي ، ويشرح أبعاد هذه العلة وسبيل معالجتها :

(إنشاء فلسفة إسلامية جديدة أو فكر عربي معاصر جديد يتفاعل معها الوجدان بايجابية كبيرة ، كون هذه الفلسفة تعبر عن نيات وتعلن مبادئ وتحدد مسارات على المستوى الفكري والنظري ، وقد تتفاعل مع العقل بإيجابية أكبر ، لكنها تصطدم بالواقع المليء بالتعقيد والتأزم فيحكم عليها بعض الأطراف من خلاله بأنها أطروحة طوباوية على الرغم ما فيها من جدّة وجرأة).

2 – أهمية تكريس الحوار الإيجابي لمواجهة التيارات المعاكسة يقول هنا الباحث محمد محفوظ :

إن الحياة الثقافية العربية والإسلامية بحاجة فعلية وماسّة إلى تدشين مرحلة الحوارات الحضارية بين مدارسها وتياراتها المختلفة ، حتى لا تتحوّل حياتنا الثقافية إلى مجموعة من ردود الأفعال المتشنجة التي تساهم في تقويض عوامل القوة في الثقافة العربية والإسلامية المعاصرة .

المصدر: كتاب الحضور والمثاقفة.. المثقف العربي وتحديات العولمة[48]

3 – الدعم المؤسساتي لهذا الجهد الهام والكبير ..ولأن الأمر بات صعبا ضمانه ومتعسرا ، فما هو البديل أو المرمم ؟ ...

4 – والأهم من كل هذا التعرف على موطن الداء قبل اتهام الآخر , فيقول الكاتب الإسلامي الراحل مالك بن نبي في كتابة (مشكلة الثقافة) :

(في القرن التاسع عشر كانت العلاقات بين الأمم والشعوب علاقات قوة ، وكان مركز الأمة بعدد مصانعها ومدافعها وأساطيلها البحرية ورصيدها من الذهب..)[49] .

---

[47] راجع الرابط هنا
http://mail.google.com/mail/?hl=en&shva=1#inbox

[48] انظر الرابط
http://www.balagh.com/mosoa/garb/bf1f8uot.htm

[49] انظر صفحة 14 من الكتاب

ولكن القرن العشرين قد سجل في هذا الصدد تطورا معلوما هو أنه قد أعلى من الفكرة باعتبارها قيمة قومية.. [50]
ويستطرد قائلا في مكان آخر [51] :

(المسلم بسبب عقدة تخلفه يرى أن تخلفه متمثل في نقص ما لديه من مدافع وطائرات ومصارف ، وبذلك يفقد مركب النقص لديه فاعليته إذ ينتهي من الوجهة النفسية إلى التشاؤم ...

فلكي يصبح مركب النقص لديه فعالا مؤثرا ينبغي أن يرد المسلم تخلفه إلى مستوى الأفكار لا إلى مستوى الأشياء , فإن تطور العالم الجديد دائما يتركز اعتمادا على المقاييس الفكرية . [52]

هنا نقول : مادام المفكر الواعي حصرا والمثقف العميق الفكر يعرف تلك المعلومة الهامة جدا فماذا عليه أن يكون عليه وكيف يمكنه التحول لعنصر فاعل في عالم تجديد الخطاب الديني لتغيير الأفكار السائدة حاليا بخطوات واضحة موزونة من خلال المعطيات الحالية ؟ ..

ورد في كتاب مترجم لمالك بن نبي رحمه الله(مشكلة الثقافة/ترجمة عبد الصبور شاهين): [53]

في القرن التاسع عشر كانت العلاقات بين الأمم والشعوب علاقات قوة وكان مركز الأمة بعدد مصانعها ومدافعها وأساطيلها البحرية ورصيدها من الذهب..

ولكن القرن العشرين قد سجل في هذا الصدد تطورا معلوما هو انه قد أعلى من الفكرة باعتبارها قيمة قومية..
ويستطرد [54]:

المسلم بسبب عقدة تخلفه يرى أن تخلفه متمثل في نقص ما لديه من مدافع وطائرات ومصارف.

وبذلك يفقد مركب النقص لديه فاعليتها إذ ينتهي من الوجهة النفسية إلى التشاؤم ...فلكي يصبح مركب النقص لديه فعالا مؤثرا ينبغي أن يرد المسلم تخلفه إلى مستوى الأفكار لا إلى مستوى الأشياء, فإن تطور العالم الجديد دائما يتركز اعتمادا على المقاييس الفكرية.

هنا نقول مادام المفكر الواعي حصرا والمثقف العميق الفكر يعرف تلك المعلومة الهامة جدا فماذا عليه أن يكون عليه وكيف يمكنه التحول لعنصر فاعل في عالم تجديد الخطاب الديني لتغيير الأفكار السائدة حاليا بخطوات واضحة موزونة من خلال المعطيات الحالية؟

إن مشروع النهضة العربي هو في حد ذاته مشروع ثقافي وفكري، عميق في "فكريته وثقافيته"، وقبل أن يكون مشروعَ ارتفاعٍ وتسارعٍ في حركية المؤشرات الرفاهية والاستهلاك، وانخفاض في دالات البطالة والفقر، وقبل أن يكون امتلاك سيارة وصاروخ وطائرة وما إلى ذلك من وسائل العمل والرفاهية, فالفكر هو عصب الحياة ومخ السلوك والحركة الحياتية.

---

[50] لمزيد من الاطلاع الرجاء دخول الرابط
http://www.omferas.com/vb/showthread.php?32634-التراث-و-التجديد-صوب-فلسفة-إسلامية-جديدة

[51] من الكتاب المذكور انظر صفحة 15

[52] انظر رابط اللقاء السابق

[53] ص 14

[54] في ص 15

لذا نعول على المجددين أن يحذروا من العبث بالثوابت مدعين التجديد وأي تجديد؟. التجديد الحقيقي هو الانطلاق من صلابة الثوابت وتجدي ما يمكن تجديده مما يجعلنا نتأقلم مع الزمن الحاضر ,ومع تسارع تطوره دون أن نخسر هويتنا الإسلامية.

وجوه التوظيف الأمثل للثورة الرقمية في التجديد الديني

من أصعب الأمور على الباحث أن يجد حلا لمعضلة ، أو يسجل فتحا جديدا في أمور لم يسبقه إليها أحد , وربما الأهم والأسهل في ذلك أن يضع مفاتيح حل ، وتمهيدا ، وتخطيطا , على أن يقدم برنامجا كاملا قد يتناسب ، وقد لا يتناسب مع المرحلة المطروحة والموجودة ..

لذا فيمكننا أن نعتبر أن تلك المرحلة هي ثمرة البحث وعصارته ، وزبدة الأمر ومهامه الأساسية , وأن الحديث قبلها ما كان إلا استعراضا للمحدثات ، ونقاطا على حروف ضائعة بين الأسطر...

أجل ؛ يجب التفريق بين جهد يقع استثماره على الوجه المرجو ؛ فيقطف صاحبه ثماره النافعة الكفيلة بتحقيق جدوى العناء ، وإعلاء منار المسار ، وبين جهد يؤول بعد طول عناء إلى الفشل ؛ لأن صاحبه استهان بالقواعد والمسالك والمقاصد ، فالتعويل على هذا في جلب ثمرة تستحق الاعتبار عبث وضياع .

ولكي نضع التوظيف الأمثل للثورة الرقمية في التجديد الديني على المسار الصحيح يجب الانطلاق من قواعد كبرى ثلاث ؛ هي :

1 – التفريق بين الوسائل والغايات .

2 – اعتماد الوحي مرجعية للتنظير .

3 – الاطلاع على التجارب الحضارية المنسجمة مع قيم رسالة الإسلام .

أما القاعدة الأولى فمقتضاها أن تظل الثورة الرقمية وسيلة تضاف إلى شتى الوسائل المتاحة لإشاعة الديانة ، وأداء أمانة البلاغ

وأما القاعدة الثانية فمقتضاها الرجوع إلى مقررات الوحي لاستخراج الضابط المعرفي الكفيل بترشيد خطوات التوظيف الأمثل للثورة الرقمية ، وما يتطلبه ذلك من التجديد الضروري لخطابنا الديني المعاصر ، ففي القرآن الكريم مشاهد عديدة من التوظيف الإعلامي لبث الدعوة في الأنفس والآفاق .

كما أن الأثير الذي هو مجال التفاعل الرقمي هو بعض المقصود بـ (الآفاق) في قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

وأما القاعدة الثالثة فمقتضاها سلوك منهج شامل في توظيف الثورة الرقمية لا يدع تجربة رائدة إلا استفاد منها ؛ بدءا من التجربة النبوية ، ووقوفا مع كل تجربة نافعة بغض النظر عن عقائد أهلها وشرائعهم (غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)

****

بعد ذكر القواعد الضرورية لتوظيف أمثل للثورة الرقمية في التجديد الديني ؛ يلزم التذكير بالعناصر الأدائية الكفيلة بتفعيل هذا التوظيف ، وجلب آثار استثماره .

وأول هذه العناصر : الإحاطة بالشروط الأولية لاستعمال النت ، لأن توظيف الشيء فرع عن دراية مجاله ، ولا يزال كثير من أهل العلم وطلبته عاجزين عن استعمال الحاسوب ، وامتلاك المفاتيح التقنية الضرورية للتعامل معه ، لأسباب عديدة ، منها تصور بعضهم أن الحاسوب أشبه بآلات الاسترواح والالتهاء ، واعتقاد بعضهم الآخر أن الجلوس إليه ذريعة لهدر الوقت ، ومن أبصر أدرك أن آلات التقنية كلها مجرد وسائل لا يختلف حديثها عن قديمها في استمرار حاجة البشرية إليها ، وأن الضرر ليس في ذاتها ، بل في وجوه استعمالها الضارة التي تقابل وجوه استعمالها النافعة سواء بسواء ، فإذا أدركنا جبروت النت الذي يرتفع منسوب هيمنته واكتساحه للحياة يوما بعد يوم صار لزاما علينا الدخول إلى عالمه الممتد ، واتخاذه صرحا علميا وحضاريا ناجع التأثر في حال السلم والحرب .

وثاني العناصر الأدائية الكفيلة بتفعيل التوظيف الأمثل للثورة الرقمية في التجديد الديني : إحصاء وجوه الأداء الموجبة لإفشاء الدين الصحيح ، قياسا إلى الوجوه السالبة ، ولا يخفى أن سبق الغرب إلى إنتاج تقنية النت ، وهيمنته على مسالك الاستفادة منها فسح المجال لحصيلة معلوماتية لا دين لها ، فداهمنا نتاج رقمي ضخم فيه قليل من الخير وكثير من الشر ، قد وافق لدى كثير من المتربصين هوى الفساد والإفساد ، فتسللوا عن طريق النت يبثون من السوء ما أعجزهم بثه عن طريق الكتاب والخطاب ، وبسرعة تأثير مذهلة ما فتئت تدمر كثيرا من حصون الدين والأخلاق ، وتلقي من شبه الباطل ما يضاعف كل لحظة جهود الإصلاح الضرورية , إن هذا إلا من تفريطنا بالثوابت والأساسيات التي من شانها حمايتنا وتدعيم الجدر المساندة لمنع الاختراق الثقافي أولا وهو الأهم.

فصار لزاما علينا التنبيه إلى أن أهم مجالات التجديد الديني اليوم ، وأحراها بالعناية والاستثمار من قبل علماء الأمة ودعاتها : المجال الرقمي

ويمكن إحصاء العناصر المتفرعة عن ذلك على هذا النحو :

1 – تشخيص مخاطر الصد عن سبيل الله داخل الشبكة .

2 – اتقاء وسائل الأداء الرقمي التي توقعنا في مغبة (حجب الإسلام بأهله) .

3 – المبالغة في الربط بين الأداء الرقمي والأخلاق ، وتدشين (مشروع حملة النت الأخلاقي) كي نكف الاكتساح المتزايد للتوظيف الإباحي للشبكة العنكبوتية ، ونرى أن الصراع اليوم بين (النت والأخلاق) أشبه بالصراع القديم الجديد بين (السياسة والأخلاق) .

4 – اعتبار الشبكة الرقمية ساحة للتدافع الكوني بين حق باق وباطل زاهق .

5 – إيجاد مظاهر جديدة لتجديد الديانة تواكب عبقرية التواصل الرقمي المذهل بين المنتج والمستهلك .

والواقع أن العناية بهذه العناصر تطبيقا وترشيدا يكاد يكون منعدما ، سوى محاولات متفرقة هنا وهناك خلال الشبكة العنكبوتية ؛ لا تملك من النظام والقوة ما يؤهلها لإقامة الصرح العتيد الضروري لمضاهأة المد التخريبي الممنهج ، الماضي في جني ثمراته كل لحظة .

لذا فإننا نحاول أن ننشئ من خلال هذا الكتاب نموذجا توجيهيا أشبه بالنظام الذي يجب أن يعرف كل منا موقعه منه ، ودوره الأدائي داخل نسق دعوي إصلاحي شامل واحد ، لا تعوزه تقنية الاستعمال والتواصل الرقمي ، ولا يفوته الوعي بأهمية العمل المنظم السس على التخطيط المنهجي المحكم .

إننا لا زلنا نعاني من الأدواء المشتتة للجهود ، الحائلة دون تقييمها واستثمارها ، ليس إهمالا لها فحسب ، ولكن هدرا لها بخلافات معيقة ، معارك بدون خصومات حقيقية ؛ تشغلنا عن لب الشأن ، وتجعل حالنا داخل الشبكة

العنكبوتية كسائر أحوالنا في المؤسسات ، والهيئات ، والجمعيات : تضحية من أجل الذات بشروط النهوض والتنمية ، وإهدار مستمر لقيم الإصلاح وثماره .

فهل نظل على هذه الحال من الخذلان لرسالتنا وقيم حضارتنا ومستقبل أمتنا ؟

كل من حاول الكتابة حول هذا الموضوع عالجه من الخارج ؛ بمعنى كيف تتصدى لظاهرة الانحراف من داخل المسجد دعويا أو من خلال المدرسة ، وهذا من الناحية التربوية هام جدا ، لكنه يظل عاما خفيف الأثر بالنظر إلى سائر المجالات .

فهل يرتاد شبابنا المسجد والمدرسة فقط ؟ .. كيف ونحن نتلو عليهم في المساجد قوله تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ؟؟ ..

إننا من خلال خطابنا الوعظي في المساجد نعلمهم أن مجال الحياة الواسع المتنوع المتجدد المتنامي يجب أن يكون كله لله تحقيقا لمقصد التوحيد الأعظم .

فكيف نواكب هذا البعد الدعوي التربوي من جهة الرعاية ؛ ونغطي كل فضاء يغري شبابنا بولوجه والاندماج فيه ؟

وكيف نقنع كل عالم وواعظ وداعية أن مفهوم التربية وشروط أداء رسالتها أكبر وأبعد امتدادا ؟

وأننا يجب أن نلاحق شبابنا أينما كانوا صدا للسبل استلابهم بإدماج كل فضاءات إغرائهم الثقافية والفنية والترفيهية في مشروع نهضتنا ، وإعداد نموذج إصلاحي لكل فضاء ، لا يتابع على الشر ، ولا يحصر بذل الخير في مجال دون مجال .

ومن الذين أسسوا للدعوة ونهجها قواعد ذات قيمة بحثت الدكتور عدنان النحوي ، وهو عالم غزير المعرفة ، عميق الغور الدعوي والبحثي .. يقول في كتابه : (النظرية العامة للدعوة الإسلامية /نهج الدعوة وخطة التربية والبناء) :

(ينشأ المسلم في بعض هذه المجتمعات , وقد حمل معه بعض هذه الانحرافات والشوائب , ثم يعتادها حتى لا يكاد يشعر بأنها انحرافات وشوائب فلابد أن يكون من مهمة الدعوة أو الداعية أن يعالج هذه الشوائب أو الانحرافات بأطيب الأساليب وأحسنها وأعمقها أثرا) .[55]

وقوله (أحسنها ، وأعمقها أثرا) يقتضي ما قررناه من أنها يجب أن ترتاد كل مكان ، وقد لا يكون النت في زمن هذه المقولة بهذا الجبروت المذهل المتنامي الآن ، ولكن هذه العبارة أشمل وأبعد استغراقا .

وسائل التوظيف الأمثل للثورة الرقمية:

إن ألذ ما يجده شبابنا في النت فسح المجال للبوح والاستفراغ النفسي ، علما بأن وسائل ومجالات الاستفراغ تزيدهم انحرافا وفسادا ، لكن لا سبيل أمانا لإنقاذهم إلا باستعمال نفس وسيلة داخل نفس المجال ، وعلى نحو يستفرغ كبت نفوسهم ، ثم يعمرها استقامة وتقوى .

تقرر المختصة التربوية وخبيرة البرمجة العصبية / ميسم الحكيم أنه :

1–لا يمكن البدء بحل مشكلات الجيل حتى نمد جسور الألفة بيننا وبينهم ونقرب وجهات النظر ونفتح بابا للحديث والبوح .وقد تطول تلك المرحلة إلى عدة جلسات.

---

[55] انظر صفحة 130-131 من الكتاب المذكور

2–أيهم ضاع في طريق ما كيف نرده دون أن نعرف إلى أين وصل ؟ ، وقد نصل إلى نقاط محرجة جدا , لكن يجب أن نملك الجرأة .

3– الصبر ثم الصبر

4– التمكن من أدواته العلمية والمعرفية كي يستطيع مجاراته في حقل معارفه .

5– لمس مفاتيح نفسية الذي نعالجه , وننمي زوايا خافتة في شخصه يسعده رفعها والتركيز عليها .

ونلتقي هنا مع وجهة نظر المرشدة النفسية هدية السهلي التي تقرر أيضا أن (علاج المرضى التربويين يبدأ كما أسلفنا بمد تلك الجسور , والحصول على الثقة ومن ثم البحث بقوة عن زوايا ومواهب يسعده تنميتها ورفعها , وليس هناك منحرف أو ضائع عبر هذا العالم إلا بسبب رواسب عائلية وأوجاع أدت إلى صمت ، واتجاه تربوي سلوكي مائل) .

ومن هنا يبدأ الحوار الإيجابي .

وقد عالج الدكتور محمد الثويني أمورا بطريقته التربوية الهامة :

بعد أن طرح عليه د. راشد السهل متسائلا :

هل لدينا انحراف سلوكي أم انحراف فكري ؟

فقال أن كل ما نراه هو نتيجة انحرافات فكرية ، مشيرا إلى أن أهم مصادر المشكلات التي يعاني منها شبابنا هو الفراغ النفسي وعدم الشعور بالأمن ، إلى جانب رفاق السوء ، ولا يمكن للشباب أن يكتسبوا أفكارا هدامة إلا بعد احتضانهم من بعض المختصين بمثل هذه الأمور . [56]

وفي عبارته التوجيهية الأخيرة إشارة إلى أن القائمين على الإفساد الممنهج لشبابنا تربويون هداmون مختصوان ، عرفوا كيف يتخطفون هذا الشباب ، ويجعلونه جيشا ينافح عن قيم الغرب المنحل ؛ وهو لا يشعر .

فكيف نبحث إذن عن الحل ؟

ذكر أحد الدعاة أن العالم الرقمي بات وسيلة ناجعة كي نمرر رسالتنا الدعوية , والتي يجب أن تكون مرتبة وممنهجة دون عفوية أو تسرع في المحاولات , وقد كان السكاي بي والفيس بوك والتويتر واليوتوب وسيلة هامة يجب أن نستغلها أكثر مما تستغل الآن ، خاصة لو كانت بلغة غربية مناسبة .

وإليكم مثال هام يلفت النظر لأمور لا نلقي لها بالا وهي من الخطورة في أننا قوم نعمم ولا نغربل.

أحد الشبان كان يبحث عن اللذة عبر قنوات العالم الرقمي فصادف فتاة اسبانية تتساءل عن الإسلام وتعيد ترتيب أفكارها التي تعرف , فوجد الشاب نفسه قاصرا عن شرح مبادئ الإسلام وهو الذي لا يطبقها جيدا , حتى اضطر لفتح الكتب والمرتجع فما كان من الفتاة إلا أن أسلمت....

فبكى نفسه ..وتأسف على كل أقرانه الذي يشوهون مظهر الإسلام في الغرب!! والبشر تعمم ولا تخصص...فهل تدعيم قاعدتنا الدينية هي الأهم قبل أن نبدأ ؟ أن نبدأ وندعمها معا ؟

ندخل هنا موضوع ترجمة كتبنا الدينية والتي للأسف نحن قصرنا في تسويقها خارجا ...

هذه نقطة والنقطة الأخرى هي عدم فصل سلوكنا عن طقوسنا العبادية والتي نجدها منفصلة بشكل مخز , فكثيرة هي المرات التي ترى من يخرج من صلاة الجمعة وما فظن من خطبتها شيئا ، وربما نام فيها ولم يع ما ألقي هناك..

---

[56]انظر الرابط
http://158.50.10.7/NewsAgenciesPublicSite/ArticlePrintPage.aspx?id=1779947&language=ar

ماذا يعني هذا ؟

قصور الخطبة ؟ ، أم قصورنا عن جدية جهودنا وعملنا ؟؟؟

الجواب ظاهر ، ومخجل في آن ، ودليل على أننا مفرطون إلى أبعد حد ، فمثلنا لا مجال لطموحه أن يصير رائدا شاهدا حتى يكون أستعداده في مستوى طموحه أو أكثر .

هنا نقف أمام فكرة تنظم من جديد ما نحن بصدد دراسته في هذا المبحث الهام ، وهي : التفريق بين الوسائل والغايات.. ، فما كان وسيلة لا يصلح أن يكون غاية بحد ذاته ، لذا فما سبق نعتبره تمهيدا ومدخلا هاما للولوج إلى صميم الموضوع الذي يهمنا ، ويجعل ما سلف إيجابيا ؛ يستشرف أفق الغاية المنشودة من هذه الدراسة ككل .

غايات التوظيف الأمثل للتجديد الرقمي:

لا يمكن الوصول إلى الغايات دون أن نمر بما سلف ذكره لتعزيز القواعد الأساسية الداعمة للمسار السلوكي والأخلاقي والعقدي والفكري ، وذلك كيما ننطلق بثبات وبينة ووضوح للهدف المرسوم بداية .

يقول مالك بن نبي في هذا السياق : (إن التخطيط يفقد كل معناه التقني ابتداء من اللحظة التي تكون فيها فكرته الرائدة مستوحاة من الخارج)[57] .

ماذا يعني هذا ؟ . .

هل نحن نمضي في حياتنا بلا خطط منهجية وعشوائية معيبة ؟ ..

أم يعني أن جل أفكارنا جاهزة لا تمت لبيئتنا ومعقداتنا بصلة ؟

لو توخينا – حقيقة – الالتزام بالبند الأول والثاني لعرفنا مدى تقصيرنا فيها وتخلفنا عن الركب ...

لقد تعود جيل كامل على أن يتكئ على ما يقدمه الغرب من وجبات مسمومة لا تمدنا إلا بما يفكك تفكيرنا ويلقي بنا – ونحن مغمضو الأعين – إلى تهلكة حتمية تسلبنا الاعتبار في أدنى مستوياته ، فضلا عن الريادة ... وكان التقدم التقني بات شفيعا لهم ويكفي للاقتباس غن لم يكن الامتصاص السريع الغافل!.

يقول مالك بن نبي في هذا الصدد: (إن الرأسمال الفكري لبلد ما جوهري بالنسبة له ، وعلينا أن نخلق بأنفسنا الآلة التي نزن بها الأفكار ، تلك هي في الواقع المسألة من وجهيها الاثنين)[58] .

تنبع تلك الفكرة لدى مالك بن نبي من فكرة غابت عن الجميع ، وهي أن الغرب سرقنا من حيث لا ندري ، وبنى الآمال على حطام بلادنا ! ، وهو أمر قديم قدم عمر الاستعمار ، ومازلنا نرى ونسمع بلا حيلة ولا حل ، كما يقرر في موطن آخر : (إن الاستعمار لا يستطيع فعلا أن يترك – بلا قيد أو شرط – بلد كان يستعمره ، ولا أن يغادر هكذا وبكل بساطة ؛ مخلفا وراءه المكان للاستقلال الجديد , هذا يعني أننا نعده ولدا ساذجا)59 .

وإذن ؟ ...

إن الأجنبي – ولو كان مشبوها – لا يستطيع أن يفعل الضرر في بيتنا إلا إذا وجد من يحابيه ويتآمر معه60 ,

---

[57]من كتاب من أجل التغيير صفحة 33
[58]من الكتاب ذاته صفحة 39
[59]من ذات الكتاب صفحة 36
[60]من الكتاب صفحة 23

نعم من هنا تبدأ المعضلة في خسارتنا لمفكرينا ، وخسارتنا لآذان تسمعهم ، وكان الغرب مازال يفرض الوصاية علينا بطريقة ما تنبع من عقدة الخواجة إلى عقدة إمساكهم بناصية العلم والمصادر الحيوية العالمية !.

من هنا يجب أن نحسن التخطيط في زمن بات عالم الثقافة لا يركز إلا على هوامشها , ولا يمرر إلا أوراقا لا فائدة منها , ويحابي شخوصا لا يعيرها الغرب اهتماما لأنها هدامة ...

بل جل العناصر المثمرة البناءة والمخلصة تطرد بطريقة صامتة أو باختيارها الخروج لتقع في مصيدة الغرب ، ولو استعرضنا جل الكوادر الهامة والتي قامت عليها جل الشركات الكبرى هناك ندرك حجم فداحة خسارتنا المستمرة ، فكيف جرى هذا في غفلة منا ؟

يجيبنا مالك بن نبي قائلا :

(إن التخطيط لبلد في طور النمو , يهدف أساسا إلى تحريك كامل طاقاته وموارده البشرية والمادية تحريكا يؤدي إلى خلق ديناميكية اجتماعية .

وبابتعاد أحد عناصر التخطيط ..سيؤثر تأثيرا سلبيا على توازن الديناميكية التي يراد خلقها)[61] .

إن مالك بن نبي يتحدث هنا عن أسباب هجرة العقول للخارج ، ونحن في هذا المقام يهمنا نقاش طريقة استغلالها من خلال المتوفر من معطيات تقنية واجتماعية ومؤسساتية ، كي نقلل من عنصر الانبهار بالغرب الهدام , وننظر لذاتنا قبل الآخرين ؛ نصلح ، ونبني بقوة وإخلاص ....

باختصار يجب ان ننتصر على قارضي الأفكار على نحو ما يشرحه لنا بن نبي قائلا :

(لقد ترك سقراط فيما ترك كلمة خالدة حينما تكلم عن (قارضي الأفكار) حيثما تفوح رائحة فكرة ما , تستيقظ عند الدخدخيات (كائن كثير الأرجل) غريزة الحيوان المتوحش , الذي يشتم فريسته , إنها (قارضة الأفكار) ....

ثم يتابع : (استدعتني الحكومة الجزائرية من الخارج لإنشاء مركز للتوجيه الثقافي ، وكان يجب أن ننتظر الضوء الأخضر من البيروقراطيين ..فإنا سننتظر هكذا طويلا , إذن لقد عمل المركز بوسائل مؤقتة .

من جهة أخرى ؛ لم يكن مخصصا لإعطاء شهادات بل لتقديم بعض الأفكار الجديدة ؛ على الأخص في مجال الاقتصاد والثقافة في بلد من بلدان العالم الثالث ؛ أي في مجال علم اجتماع البلدان النامية ... إنه بقدم فريسة سهلة لغريزة قرض الأفكار ..)[62] .

نعم .. من هنا نبدأ ؛ من استثمار أفكار البراعم والشبان خاصة المخرجين من الجامعات ، واستثمار مشاريع تخرجهم للنفع العام ، وبطريقة ما فالفراغ يكرس الضياع والشتات والخسارة ، وهذا منشأ المأساة الحقيقية التي نتحدث عنها ...

يجب ان يكون في المجتمع العربي منافذ نخرج منها للفضاء الأوسع ؛ كي نحاول الخروج من عنق الزجاجة التي وضعنا أنفسنا فيها بإهمالنا , ووضعنا الغرب فيها أيضا باستعماره المستمر...

كما يجب أن نعي واقعنا وموقعنا إذ لا خلاف اليوم – كما قرر الدكتور البكار – أننا (نعيش عصر التطورات السريعة , فما تم إجرازه من تقدم علمي , إلى جانب التوسع الهائل في استخدام نظام التجارة أديا إلى تغير بيئات حياتنا الخاصة , وبيئات اعمالنا العامة , كما أديا إلى تغيير في أشكال العلاقات القائمة في مجتمعاتنا , ونتج عن كل ذلك

---

[61] من الكتاب المذكور صفحة 31
[62] من الكتاب صفحة 42

تغييرات واسعة في الإمكانات التي نملكها والتحديات التي نواجهها , وقد استوجب كل ذلك التركيز على تنمية المفاهيم والقدرات الشخصية لكل واحد منا , حتى نعيد تاهيل أنفسنا للتعامل معا لمعطيات الجديدة)[63] .

ثم يضيف معللا ومبرزا مرجعية هذا الإلزام : (لإن الإنسان في الرؤية الإسلامية هو مركز الكون , ودليل ذلك تسخير الله – جل وعلا–له كل ما يمكن ان يصل إليه , كما قال سبحانه : [وسخر لكم مافي السموات ومافي الارض جميعا إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون][64] ، ولذا فإن السواد الاعظم من نصوص الكتاب والسنة يدور حول مسائل النهوض بالإنسان وترقية حاله , وتهيئة الاجواء والبيئات التي تساعده على ذلك ، وإذا قصرنا في ذلك فيمكن ان تتحول إلى عبء , كجيش لم يدرب ولم يسلح)[65] .

والحق أن مقررات وتوجيهات الدكتور البكار في هذا الجانب لا يستغني عنها الباحث في مجال التجديد الديني والحضاري ، لذا ارتأينا أن نورد – فيما يلي – نصوصا قيمة من كتابه الحافل (اكتشاف الذات) مرتبة حسب مجال التجديد الحضاري الذي تتناوله ؛ تسهيلا لمسالك الانتفاع بها .

البعد الروحي في التجديد :

(إن النمو المادي على المستوى الجسمي وعلى مستوى الثروات المادية , يظل محدودا , كما ان كثيرا من المواد الاولية مهددة بالنفاذ الكامل.اما النمو العقلي والروحي , فإنه ليس محدودا بأسوار ، سيكون المستقبل للأشياء المتفوقة والباهرة)[66] .

(لعل اكبر نقطة ضعف في الحضارة الحديثة انها وضعت كل ما يتعلق بشؤون القلب والروح في ذيل اهتماماتها)[67] .

البعد الاجتماعي في التجديد :

(إننا بحاجة أكثر من اي وقت مضى إلى ان ندعم الجانب الاجتماعي في شخصياتنا , حيث تمارس (العولمة) في أيامنا هذه عملية خلع منتظمة وشاملة ,فهي تخلع الفرد من الأسرة ,والأسرة من المجتمع , والمجتمع من امته ,

ولذا فإننا نشاهد الكثير من مظاهر القطيعة الاجتماعية , والكثير من الجفاء بين الارحام كما ان معاني الصداقة الحقيقية تشهد نوعا من الضمور.. هذا كله يمنح مسالة تنمية الشخصية اهمية استثنائية في عصرنا هذا)[68] .

(العولمة تشيع في الناس اليوم خلق (الصفقة) , حيث بات عددا كبيرا من الناس ينظرون إلى أشياء كثيرة على انها مما يباع ويشرى)[69] .

(الناس غير مستعدين لتغيير انفسهم ومألوفهم وعاداتهم إلا إذا شعروا بحاجة ماسة إلى التغيير .

لا تقتصر مهمة المسلم في هذه الحياة على تغيير احواله وغنما تمتد إلى تغيير احوال وإصلاح احوال مجتمعه , من خلال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل النصح للمسلمين وتطهير الحياة الاجتماعية من الشر والفساد)[70]

---

[63] ص 5
[64] الجاثية 13
[65] ص 6 – 7
[66] ص 7 .
[67] ص 31
[68] ص 8
[69] ص 21
[70] ص 88

(لماذا يكره الناس التغيير:

1 – القصور الذاتي

2 – في حالة اتلعب والإعياء

3 – يخاف الناس احيانا من الجديد

4 – خوفا من الخروج على التقاليد

5 – إذ اكره الناي على تغير الشيء فيقاومونه و]انفونه بدل الامتثال.

6 – لأسباب عاطفية نفسية غامضة)[71] .

(علينا إذا اردنا التغيير:

1 – ان تشبع بفكرة تقول :/ ان تغيير العادات أمر ممكن ، فالناس لا يحاسبون على طباعهم التي من صنع أيديهم ، إنهم يحاسبون على اعمالهم التي يمتلكون القدرة على الامتناع عنها.

2 – المشكلة في رهبة الخطوة الاولى فإذا استطاع المرء حشد قواه المعنوية فيكون قد قطع نصف الطريق.

3 – الحصول على دعم معنوي ذاتي للتغيير /يتخيل الثواب العظيم مثلا...

4 – لنقطع كل السبل التي كانت توصلنا إلى عمل الأشياء السيئة

5 – ابحث عن البدائل الجيدة ؛ فمن العسير ان نتخلى عن القديم مالم نبحث عن جديد يحل محله وغذا تخلينا عنه , فغن العودة إليه تظل غير مأمونة)[72] .

البعد الإيماني في التجديد :

(المسلم الحق يشعر بنعمة الهداية عليه , ويعتقد ان رأسماله الحقيقي هو عقيدته الصافية والخالية من الشوائب

.

الحلول التي تخرج عن نطاق المبدأ ليست حلولا, وإنما هي تعقيدات جديدة للمشكلة تستوجب حلولا جديدة.

المسلم الحق يستمد قوته من أسرة او قبيلة ينتمي إليها او وظيفة يعمل بها أو مايملكه, وغنما يستمد امنه وقوته من ثقته برحمة الله.

لذا فالمسلم الملتزم يعجب من أولئك الذين يتخبطون في الحرام

إن مبادئه تضبط تطلعاته كما تضبط تحركاته وشانه كله)[73] .

(النية الفاسدة تحول ما ظاهره العبادة إلى نعصية كالذي يصلي مراءاة للناس كما تحول المباحات إلى عبادات كالذي يسافر لطلب العلم, او يأكل بنية التقوي على طاعة الله تعالى.

النية شيء لا يمكن اختراعه والتحايل عليه , إذ هي انبعاث النفس وتوجيبها وميلها إلى ما ظهر لها فيه مصلحة لها , غما عاجلا وغما آجلا)[74] .

---

[71] ص 89

[72] ص 91 .

[73] ص 22 – 25 .

[74] ص 33

(إن الذي اعطى التماسك لحضارتنا ووفر بنية اساسية لثقافات الشعوب الإسلامية على تباينها هو نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية , ولولا تلك النصوص لتعرض القاسم الثقافي المشترك بين الشعوب الإسلامية إلى زلزال عظيم , بسبب فداحة المحن والمخاطر التي مرت بها الأمة في تاريخها الطويل)[75] .

البعد الاستشرافي للتجديد :

(ماذا علينا كمسلمين ان نلاحظ ؟

1 – أن المسلم بحاجة إلى ان يمتلك الحس المستقبلي

التخطيط هو جهد ذهني معرفي يبذله الإنسان في تصور الاوضاع والإمكانات الحاضرة من أجل وضعها في برامج واضحة ,بغية الوصول إلى هدف محدد , ومواجهة الظروف المستقبلية.

2 – من فوائد الخطيط انه يساعد الإنسان على الخروج من الظروف الصعبة التي يحيا فيها.

3 – الناس ذوو الإنجاز العالي لديهم مايشبه الهوس بهدف معين

4 – لا ينبغي ان يظن ان كل من خطط لحياته فاز, وأفلح الكثير ممن يخطط لكنه مصاب بقصر النظر وغارقون في الاوهام إلى آذانهم.

5 – الهدف هو الحصيلة التي يرمي المخطط إلى الوصول إليها

للهدف مواصفات هامة :

أ–الإيمان بالهدف

ب– وضوح الهدف

ج– إمكانية تحقيقة

د–ان يكون منسجما مع الخبرة التخصصية المتراكمة في مجاله.

ومالم يتوفرهذا الشرط فسيجد المرء نفسه ممزقا بين الانسجام مع قيمه وبين التفاعل مع امور لا يرضاها ولا يؤمن بها)[76] .

البعد الفكري في التجديد :

يهدف التفكير دائماإلى استيلاد مجهول من معلوم. والوصول إلى بعض النتائج من خلال ما يتوفر لدينا من مقدمات ومعلومات..

التفكير عملية شاقة جدا, وربما كان المشي –او الجري–أسهل على النفس منه, ولذا فإن الناس يفرون منه,ولايفكرون إلا عند وجود حاجة ملحة للتفكير

---

[75] ص 76

[76] ص 179 – 183 .

التفكير النشط هو الاداة التي يجب أن نستخدمها في تصنيف المعلومات وتوظيفها والاستفادة منها , وقبل ذلك تمحيصها وطرد الزائف منها

إن التدفق الكبير للمعلومات يجعل ما بحوزتنا من معارف ومعلومات يتقادم بسرعة كبيرة وتفيد بعض التقديرات : ان نحوا من 90% من جميع المعارف العلمية قد تم استحداثه في العقود الثلاثة الاخيرة ، ويتوقع ان تتضاعف هذه المعارف خلال الاثني عشرة سنة القادمة .

ويرى بعض الباحثين ان أغراض الشخوخة تعتري المعلومات بنسبة 10% في اليوم بالنسبة إلى الجرائد و10% في الشهر بالنسبة إلى المجلات و10% في السنة بالنسبة للكتب .

والعلاج لذلك كله : هو دوام الاطلاع والمتابعة وإحداث تنظيم جديد لاكتساب المعرفة والتعامل معها. وذلك حتى لا يتدهور مالدينا , وحتى لا نغرق في الاوهام والمقولات الخاطئة التي تنتشر بوصفها مفرزات جانبية للتقدم العلمي)[77] .

البعد المنهجي في التجديد :

إن مهمة طالب العلم لا تتحدد في حمله وحفظه وسرده وليس المقصود ان تخلو ذاكرة طالب العلم من أية محفوظات فهذا غير ممكن ولا ملائم , ولكن المقصود : ان يختزل في ذاكرته المعلومات في هيئة منهج وبنى ونماذج إرشادية ، وعلاقات وتوجيهات ومبادئ وحقائق أساسية عوضا عما يفعله كثير من طلاب العلم حين يحملون في رؤوسهم اكداسا من المعلومات الموسوعية المشتتة التب لا تربط بينها أي رابط ، وبالتالي فإنهم لا يعرفون ماذا يصنعون بها .

إن المنهج الإسلامي في تيسير دفة الحياة هو العلم والحق والعدل ، وليس القوة والمال والنفوذ..

تغيرت الصورة اليوم على نحو جذري ؛ إذ امسى العلم هو الطريق الرئيسية نحو الحصول على المال وصار أفضل استثمار يمكن ان يعود بأعلى الأرباح ..

انظر إلى دولة مثل اليابان ، فإن مساحتها ضيقة وثرواتها محدودة ، ومع ذلك فإن دخل الفرد فيها يتجاوز واحدا وعشرين ألف دولار في السنة ، ونصيب الطفل اليهودي في فلسطين السلبية من الناتج المحلي يزيد على 17500 دولار ، ودخل الفرد في بلد مثل سنغافورة يزيد على احد عشر الف دولار ، إن القاسم المشترك بين هذه الأقطار هو اعتماد التعليم والتدريب والتقنية مداخل أساسية للنهوض العمراني)[78] .

(الحياة التي منحانا الله تعالى إياها فرصة لا تتكرر , ومن واجبنا ان نتعلم كيف نستغل هذه الفرصة.، والمسلم الواعي بمتطلبات التدين الحق يملك كل المفاهيم والأدبيات التي تجعل إنتاجية عالية الجودة .

صفحة أقرؤوها في كتاب جيد اطور من خلالها بعض جوانب تفكيري قد تكون اجدى علي من كتاب أقرؤه دون ان اجد فيه ما يغير شيئا في نظام تفكيري او طرحي الثقافي وهكذا..

لا يخضعون للظروف الصعبة ولا الموارد الشحيحة وغنما يستخدمون ما لديهم من إيمان وعزيمة ومواهب وخبرات وطموحات في تحسين ظروف العمل وكسر الحلقات المفرغة التي يدور فيها غيرهم .

ما لذي يساعد الواحد منا على ان يحسن إنتاجيته:

---

[77] ص 67 – 68

[78] ص 76 – 79

1 – رسم اهداف محددة

2 – تركيز الاهتمام على اموره التي تقع داخل دائرة التأثير الشخصي ، يجب ان نتعلم كيف ندبر اوقاتنا على الوجه الحسن

3 – تحديد الأولويات

6 – كثيرا ما يشغلنا إتقان الأساليب وتوفير الوسائل عن النتائج التي نسعىإلى الحصول عليها.

4 – لنحاول دائما توفير البيئة وبناء العلاقات التي تساعدنا على العمل المثمر الجيد.

5 – طالما فتن وعينا بالكم فنحن نحب الاعداد الكبيرة والأشياء الضخمة ونتفاخر دائما بالكميات الكبيرة , مع ان زماننا هذا هو زمان الأشياء الصغيرة المتقنة.

6 – إن الكثرة لم تمدح في أي موضع من القرآن الكريم , مما يؤكد ان المهم دائما هو الجوهر.

7 – لنهتم بالتحسينات البالغة الصغر خاصة لو استطاع الواحد منا العمل بجدية كل يوم ساعة في أي مشروع واستطاع الاستمرار في ذلك خمس سنوات , فإنه يخرج من تلك بنتائج باهرة ومدهشة وأول من يدهش صاحبها .

كل واحد منا خطوطه فريدة

ولو تأملنا مليا الفوارق الجوهرية بيننا لما وجدناها كبيرة لكن إذا نظرنا في المنجزات والنجاحات التي يحققها الأشخاص المتشابهون فإننا سنجدها متباينة)[79] .

(في الحقيقة حاولت البحث وبدون ذكر أسماء عمن دخل خضم الفكرة وعالجها إيجابيا وإصلاحيا بقوة كيف ذلك؟

لنفرض أنك في مكان دعوي أو تدريسي هام ولمست نماذج منحرفة بشلل مرضي نحو هذا العالم ,حيث غدا يعاني من ازدواجية في شخصيته مخزية تبدأ في السلوك العام وتنتهي بشيء محسوس كجهازي جوال واحد عام وآخر خاص!!!

لا يهمنا الكم المتصاعد من المستشفيات التي باتت تعالج إدمان النت وغدا ازدواجية الشخصية وأمراض تظهر كل يوم لم نسمع عنها عمرنا تبدأ من المنزل وتنتهي في الحياة الزوجية...

ولم لا ندخل صلب الموضوع ؟ ونصرح بما يحدث بصدق وشفافية حتى يتسنى لنا معاجلة أمر كهذا بقوة ؟

نحن نتساءل عن أن الأمر بات أبعد من إمكانية حرمانه فكيف الوقاية والعلاج.. وبالطبع نحن نضع مفاتيح وليست خطة علاجية كاملة فلسنا بصدد التعمق في أمور تخص مختصين لا نلم بكل أدواتهم كلها.

[79] ص 107 -119 .

العنصر الثاني: مآل الثورة الرقمية المنفلتة

تحكم البدايات والمآلات سنن كونية مطردة لا تتبدل ، ولا تتحول ، وقاعدة تأثيرها في مسار الحياة التجاوب مع أفعال الإنسان إيجابا وسلبا ، منحا ومنعا ، تمكينا وإتلافا .

وقد مر بنا في مواطن عدة من هذا الكتاب ما بين الأداء الرقمي الرسالي وبين الأخلاق من الصلات المتينة ، وحبال التعلق الوثيقة ، وما يلزم المسلمين من المواكبة الأثيرية التقنية والتبليغية استكمالا لشروط الواجب الدعوي الذي يؤدون نصيبا كبيرا منه في المساجد ، والجامعات ، وشتى المرافق المكانية المعلومة المعهودة .

فالأثير مجال من تلك المجالات ، وهو أسرعها و أخطرها في التأثير ، وهو اليوم جانح جنوح المارد المتمرد على قيم الخير والصلاح ، إلا استثناءات ضئيلة لا تكفي ، ولا تفي بما يبرئ الذمم ، ويقيم الحجة الرقمية الظاهرة .

بل هي ثورة رقمية تشرف على سيرها آليات العولمة الكاسحة لما تسعى لاسترداده الصحوة الإسلامية الحديثة من قيم الديانة ، وصيانة أصولها العقائدية ، وامتداداتها الحضارية .

إنها ثورة رقمية متفلتة من كل قيد إيماني ، أو ضابط أخلاقي يمنحها وازع الخير ، يرشد فعلها الحضاري ، وينحو به منحى الصلاح والفلاح ، فما مآلها يا ترى بعدما كشف حالها ، وعرف مسلكها المشين ، وتعين انخراط المسلم الداعية في مسارها ؟؟؟ ..

1- ظاهرة التأثر والتأثير:

يكمن الفرق بين التقدم والتأخر في ظاهرتي التأثر والتأثير ، ومن المحزن جدا أن نجد أنفسنا في موقع المتأثر غالبا , فنحن أمة باتت في الظل حضاريا , ولم تعد كما كانت قديما , وكان يجب لزوما أن نكون في مواقع الطليعة لأن ذلك من مقتضيات الوسطية التي رشحنا له لنكون شهداء على الناس , لكننا عطلنا شروط الاستحقاق ، فوقعنا في أبشع صور الاسترقاق ، ناهيك عن السهام الكثيرة التي مازالت تفت في مركز ثقلنا الباقي ، وتسخر الإعلام ووسائل التقنيات للنيل منا بكل وسيلة ، فما فتئنا نتظلم ونصرخ صراخ الفاشل العاجز عن استرداد المسلوب ، لا يمتلك قوة ، ولا منهجا واضحا ، ولا خطة محكمة حتى ضاق المسار بقدر ما نراه متسعا ، وتعددت نماذج القدوة الكفيلة بإحسان القيادة ، حتى صار انتقاء المستحق أمرا أشبه بالمستحيل .

ويبقى السؤال الملح رغم كل شيء : لماذا حقق هذا الاختراق الغربي أكله رغم ما نملكه من ثوابت وقواعد ماسية شرعية سماوية ؟ .. هل الثغرة داخلية أم خارجية ؟ .

لقد كانت الوسائل التقنية الرقمية من أولى الوسائل التي زعزعت أركان بناءنا الإسلامي العقدي والفكري , وأكثرها تأثيرا , وأكاد أجزم أنني لم أجد مرجعا قويا يسعفني في اعتبار الانفلات الخلقي سببا حصريا ، وممهدا مباشرا للاختراق الإعلامي المسلح بالوسائل الرقمية الحديثة , وكانت تكرارا للمسائل الدينية من المعازف وحرمة التدخين ووو.

كان هناك شذرات في مواقع عربية متفرقة نادت وتألمت دون طرح منهجي صلب , وربما كان هناك تلميحات وتعرض لتلك الفكرة من مفكرينا الإسلاميين بطريقة أو بأخرى لم يتبحروا لم يوظفوها في تقليب تفاصيل تلك المأساة الحقيقية التي حاقت بكل روادها .

فقد كان الاختراق مصوبا بدقة نحو كل المجالات التي يمكن أن يفكر بها أي جيل , لكن القاعدة العقدية والدينية الصلبة لا تسمح بذلك أبدا ، فما هي العوامل التي أدت إلى إضعاف تلك البنية ، وخفض مناعتها الفكرية الأصيلة ؟ .. يمكن بعد التتبع أن نجملها فيما يلي :

1 – تراخي المسئولين عن توجيه الجيل الجديد مدرسيا كان المنبر أم ثقافيا عبر عدة زوايا مجتمعية مؤسساتية هامة , وعدم شعورهم بالمسؤولية الحقيقية وانعدام فكرة الحوار مع المتلقين الذي يجب أن يحصلوا على العناية الفائقة.

2 – ضعف تحضير تلك الكوادر القائدة, وعدم إحساسها بدورها للدور الخطير الذي تقوم به, ناهيك عن تقصير ذاتي في الدعم المعرفي لها والتأسيسي.

3 – عدم متابعة الحكومات لتلك الأمور واعتبارها إدارية خالصة بينما هي من صلب العمل الوطني والتأسيسي لجيل المستقبل.

4 – ضعف العامل التربوي والمنزلي أولا و الذي لم ينمي باهتمام بالغ ودراسة موضوعية , عامل الرادع لداخلي الذي سيقي الجيل من تبعات هذا العالم الشائك .

لقد ظهرت مع العالم الرقمي مصطلحات لم تكن لتظهر لولا هذا الجمهور العريض الذي التصق بتلك الشاشة المغرية دون أن يتنبه لتسريبياتها الخطيرة , وقد كان منها ما كان استجابة منطقية لتسارع التطور وجديد المحدثات العلمية , ومنها ما ظهر بشكل غير شرعي وغير مقبول ، ومر للأسف من خلال الأدمغة والعقول ، فاخترقها بنجاح منقطع النظير ، ومن أمثلة ذلك (الجنس الالكتروني – شرعنة التفلت – الضياع الشعوري – الزنا الطوعية) الخ ...

وقد تحدث الأستاذ د.خيري العمري عن ذلك بطريقته الخاصة ؛ يقول في مقاله الموسوم " شرعنة التفلت : إباحة " الزنا " :

(ليس (الزنا) ظاهرة حديثة ، كما أنه بالتأكيد ليس بدعة من بدع الحضارة الغربية ، كان الزنا موجوداً منذ أن كان هناك مجتمع إنساني ، وسيكون موجوداً على الأغلب ما دام هناك مجتمع إنساني ، ومجردَ وجوده لا يمنحه أية شرعية ، ولا يجعله حلالا .. فالشر كان موجوداً أيضاً ، والجريمة كانت موجودة مع وجود المجتمعات الإنسانية دون أن يكون ذلك مبرراً لها) [80] .

ويستطرد في مقاله شارحا انحدار الفتاوى إلى شرعنة الزنا بدعوى الرضا ، وشرعنة خيار الحجاب بدعوى أخرى , وهكذا يتم تفسير الآيات القرآنية بعيدا عن هدفها التي وضعت له , مما يؤدي إلى خلخلة الثوابت التي نعرف ، ونسلم لها شرعيا ومنطقيا ...

إنها قراءة (إلغائية) لكل ما هو عملي في القرآن !!! ، وأمر توظيفها لخدمة المحدثات الطارئة لا يجعلها حلالا بحال كما تقول سعاد صالح : (إن الحوار عبر مربعات الحوار الرقمية بين الجنسين إن خلت من الغرض الهام الجدي هو خلوة شرعية ! لم لم تؤخذ وجهة نظرها بجدية كاملة ؟؟؟

---

[80] **- راجع مقاله عبر الرابط**
http://www.quran4nahda.com/?p=185

وبالمقابل لو دخلنا عالم الوعظ الإيجابي المدروس , وهذا موجود ويجب ألا نغمطه حقه أبدا من كوادر تعرف مهماتها ، وتخشى الله حق خشيته , ورغم هذا يتبادر لرواده سؤال وجيه جدا : لماذا كلما اشتد الوعظ ازداد التفلت ؟؟؟[81]

2- قصور دور الوعظ والإرشاد:

يقول بعض المفكرين بأن التركيز على قضية لا يحتاج إلى جهد مركز قد يقلب المجن على المحذرين والموجهين , بل أن تدرس كل خطوة وتؤخذ بعين الاعتبارات والعوامل الجديدة ؛ لا بالوسائل التقليدية التي أكل عليها الدهر وشرب , فمثلا لماذا نلمس التأفف من خطبة يوم الجمعة

هل لأنها لا تعكس نبض الشارع ؟ ..

هل لان ضوابطها الخارجية تجعلها غير فعالة ؟ ..

أم لأن هذا يعد قصورا حقيقيا في الأصل ؟ ، وللتوجيه عبر المنابر المشابهة يحتاج حذقا وذكاء وفطنة منقطعة لنظير في زمن مل كل مستحدث فكري وتقني وأدواتي ؟ ...

لقد ضربوا مثالا للتشدد والتزمت ما يحدث في الجزيرة العربية ، فلم الجزيرة العربية بالذات ؟ ..

وهل للفساد الأخلاقي وطن ؟ ..

أم لأنهم يملكون المال ويملكون واجهة المركز الديني ؟؟ ..

ربما هذا ، وربما ذاك , ولكن القيم كل لا تتجزأ ، ففي عالم الفقر فساد ، وفي عالم الغنى فساد من نوع آخر!!. ، فالسؤال الأهم هنا :

أليست التربية القديمة التي كانت منتشرة في جل الوطن العربي عبارة عن عادات وتقاليد أكثر منها عقيدة ورسوخ فكري ؟ ..

فلم تأثرت بعض مناطق إيجابيا بشكل ما , وبعضها سلبيا ؟ ..

هل هو الكبت العميق إلى جانب ترافقه مع المال ؟ ..

هل هو التسيب والتغافل الأبوي ؟ ..

أم هو انعدام الحوار الإيجابي ؟ ...

من هنا يبدأ البحث كي نضع نقاطا على الحروف في عصرنا الحالي .

لقد كان لي مع داعية عربية مقيمة في الخليج حوار يبين أبعاد المشكلة الدينية في البلاد العربية بشكل عام :

تقول الداعية م .ب : (لقد كان جيل آبائنا متمسكون (متمسكين) بالقيم الدينية لأنهم نشأوا عليها ؛ ليس لقناعتهم العميقة ، وإنما حياء وطاعة , ومن هنا نشأت شريحة كبيرة اتسمت بالكبت على اختلاق عمق الكبت هنا ,

---

[81] **- بحثت عن إجابة لهذا السؤال فوجدت نقاشا حوله عبر هذا الرابط**
http://forum.ma3ali.net/t701500.html

فجيلهم قسر قسرا على إتباعها حشمة والتزاما – كما كان الوضع الاجتماعي بشكل عام حينها – تحول إلى تزمت منفر تجلى بمنع الفتاة من اخذ نصيبها من العلم , من الزواج في بعض الأحايين بحجة عدم حاجة الأهل للمال!!

وكثيرة هي الحالات التي سجلت انتحارا لفتيات أجبرن على الزواج من رجال متقدمين في العمر كانوا عبارة عن قسم من صفقة تجارية بامتياز .

حتى أن هناك بعض جماعات دينية معروفة في بلاد الشام ؛ انتشرت في بعض بقاع من الوطن العربي كانت تعارض تعلم المرأة ، ويقتصر على المرحلة الابتدائية خوفا من تفلتها !!! ، فأدى هذا إلى تفلت مخز في مراحل متقدمة من العمر .

تقول (م ب) عن إحدى قريباتها :

لقد تزوجت صغيرة سن ، وعندما دخل النت عالمها متأخرا أصبحت من المدخنات ، ومدمنات الشات وتخشى على قريبتها أن تكون قد أدمنت أمورا أدهى وأمر .. ، تقول قريبتها عن نفسها : (لم أراهق عمري ، وأحببت وأنا في عمر ال35 ؛ فلم لا أجرب المراهقة بكل أبعادها) .. ؟ !!!

فماذا يعني هذا النذير الخطير ؟ ...

يعني أن الجيل الجديد الذي تربى بعدما انتشرت من جديد المدارس الشرعية ، ومجالس العلم في المساجد في بلاد الخليج حديثا وسوريا مثلا ؛ قد نشأ نشأة قويمة مبنية على الاقتناع , لأنه لم ينشأ تلك النشأة الناقصة أبدا , لذا فمسؤولية المربين الدينين جسيمة جدا ، وهم من يعول عليهم في تنشئة جيل الحضارة فلم لم تظهر بوادر تجربتهم إلى الآن ؟ ...

وهذا ما نريد ، وما يجعله أكثر وعيا مهما كان تأثير هذا العالم الرقمي لأن لغة الحوار موجودة ومتاحة ، ولم يعد نموذج الام والأب نموذجا مخيفا ، ومازال في برجه العاجي يخشى النزول لساحة النشء حديث العهد بعالمه .

تقول(م ب) :

ابنتي الصغيرة في مراحلها الإعدادية الأولى , لديها هاتف جوال وكنت أعلم بوجود فيديو كليب غربي فيه ولا أدري كيف أقنعها بالتخلص مما فيه ، فنسيت يوما رقمه السري فجئتها خوفا عليها مفتعلة حوارا وديا حميميا :

ماذا لو أعطيت الجوال لأبيك ليفتح قفله عند المحل الفلاني ؟ .. ، فأنت لن تستطيعي الذهاب وحدك وأنت في تلك البلاد الخليجية ، وماذا سيقول له البائع إن لم ينظر إليه شزرا ، ويقول :

من هؤلاء ؟ .. ، وكيف ربيت يا مربينا الكبير ؟ ...

فقالت لي بوعي وتفهم : (مشكلتك يا أمي أنك ذكية) .

فتذكرت الرقم فورا ومحت أمامي كل الصور والكليبات ...

من هنا بدأت التربية الحديثة تؤتي ثمارها...، ومن هنا نبدأ مشوارنا التربوي المثمر .

كيف نجعل من أساليب الوعظ أسلوبا إيجابيا ؟ :

إن أول من يلام هنا عدة مؤسسات : المدرسة ، المنزل ، المسجد ، مجمع اللغة العربية الذي لم يلاحق تلك المصطلحات ويثبتها أو ينفيها ...

أين هي آداب استخدام الانترنيت ؟

أين هي آداب استخدام الجوال ؟

أين آداب استخدام الفضائيات ؟

أين هو الحوار الحقيقي الذي يساعد الجيل على حسم حيرته تجاهها ؟

أذكر أنني كنت واعظة في مسجد ع ط ، وكانت مجموعتي عبارة عن ربات منزل منفتحيات ، ولديهن توق للثقافة ، وقد زوجهن أهلهن صغيرات ، ويعانين من تعيير أولادهن بجهلهن !!!

أرشدتهن لولوج معهد حاسب ، أرشدتهن لمنتداي (فرسان الثقافة) مع متابعتهن لكل طرفة عين كي يعرفن دهاليزه العميقة ، ويحاولن أن يكن صلبات السلوك ، فعالم النت لا يختلف عن الواقع قيد أنمله ؛ بل قد يكون أسوأ..، لأن الأقنعة هناك متاحة أكثر ، فلا يمكننا رفض محدثات الأمور ، لكن يمكننا أن نقيم حواجز ومواقع أمنية تحمينا , والأهم أن نستفيد من إيجابياته , وإن لم ندخل هذا العالم اليوم سوف يدخله أولادنا غدا ، لكن الأهل كانوا لي بالمرصاد حيث حاربوا الفكرة في عقر دارها ، وتوقف الأمر بعد حين ، وانقطعن عن النت وعني فيما بعد ,... فهل بدأ التلفاز إلا كذلك ؟ ، وغيره ، و غيره ...

قد تقول إننا لم نستطع تنقية النهر من السموم فكيف نشرب منه ؟ .. لنشتر مطهرا إن لم نستطع منع السم من المنبع !!! ... من هنا يبدوا أول مشوار العلاج.. ، وهذا ما سنراه في العنصر التالي من الكتاب...

هناك خيط رابط بين مفهوم ومشكل اجتماعيين لم يعه جمهور المثقفين , وهو الربط بين التلفت والمرأة ، وبين مبدأ تحرر المرأة (الذي بدأته راهبتان يهوديتان ادعتا النصرانية ، وبدأتا مشوار التشويه الفكري للأمة من لبنان...) وبين التفلت , ولو فكرنا جيدا بمبادئنا العقدية الإسلامية لن نجد تناقضا أبدا بين الانفتاح الحضاري والالتزام الأخلاقي ...

ولأنها مرجع المنزل الأخلاقي فعلا ، وهي أثقل وزنا تربويا سوف يكون المعول عليه أولا المرأة...

مشكلة التفلت انه يرتدي كثيرا من الأقنعة التي تجعلنا لا نتعرف على هوية من يمارسه خفية ...، ولا على من يبث ألوان التلوث بامتياز ...

لذا فهنا بالذات يظهر للساحة الحس الإيماني القوي الذي لا يحسنه ويشعر به إلا ذو قاعدة إيمانية صلبة وقوية ثابتة الأركان ، متماسكة البناء ... فمن هؤلاء ؟ .. ، وأين هم ؟ ..

الغريب أن من ينظر إلى المجتمع من بعيد ينظر إليه بعين عائلية صرفة , بمعنى أن كل مشكل أسري يرجع به إلى الأم , وأنها مرجع الأسباب التي أدت لتصدع نواة الأسرة , بينما قطبا الأسرة هما جهاز ثنائي النواة , وبهما يمضي المركب...

فإلى متى تلك النظرة الذكورية لكل الأمور ؟ ..

بالطبع يبدأ مشوار الإصلاح بالمرأة فهي من يملك قطب التربية بامتياز .. ، لكن تآزر الطرف الآخر تربويا هو من أهم عوامل نجاح المركب...

ومن هنا تبدأ المشكلات الأسرية حقيقة ، وتنحو من هنا للجنوح أحيانا من خلال خيانة أحدها للآخر ولو تربويا ... ، فأسباب الانحراف تكون صادرة من عدة عوامل ، وأغلب من عالج هذا الأمر أعاده للقاعدة الإيمانية الهشة , وهذا صواب ولاشك ، ولكن تلك القاعدة ألا تحتاج إلى دعم بين وقت وآخر ؟ ، وإلا فكيف ندعمها ونحافظ على صلابتها ؟ ...

إذا من هنا تظهر أسباب عدة:

1– الانفتاح الرقمي بلا ضوابط ومتابعة مدروسة ، وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) رواه البخاري .

2– قصور المناهج التربوية عن تتبع الجديد العلمي ، وإحاطته بعنايتها التربوية المدروسة .

3– الإهمال التربوي , وعدم الرقي في مسايرة الأفكار التربوية الأسرية والمؤسساتية للجديد والمحدث من العلوم...

4– انحراف المربي نفسه بشكل أو بآخر ، وغالبا يبدأ بعالم الانبهار بنماذج مشهورة لا تملك أدنى عناصر القدوة التربوية , وإن كان الأمر كذلك فهو الطامة الكبرى حقيقة .

نعتبر هذه الأسباب كأمثلة على سبيل الاستشهاد لا الحصر.. ؛ حتى لا نكيل اللوم على غيرنا...وهذا ديدن الضعيف دوما... ، وكما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : ؟؟؟؟؟؟؟

ما تعريف الانحراف ؟

هو الخروج عن الشرع والمجتمع والعرف السليم , وله مظاهر عديدة كالسرقة والاعتداء على الممتلكات الخاصة والعامة الجرائم الخلقية , وهذا على سبيل المثال لا الحصر ،كما أن له أسبابه الاجتماعية والأسرية .

ومن غير الطبيعي أن نتقبل نظريات علمية أرجعت أسباب الانحراف للجينات ، وإلا لسقط عنها الإثم والتبعات !! ، لكن ما نتقبله من نظريات قابلة للمعالجة , هو معالجة أمر الانحراف بقدر الإمكان ، واعتبار المنحرف مريضا أصلا... ، ولأن الأمر عرج على العنصر التربوي لا نرى أنه من اختصاصنا الآن إنما تكفي الإشارة إليه .

ولكن السؤال : كيف فات المربي أمرُ الطفل واليافع , وترك الأمر دون متابعة أولية قبل أن يستفحل الأمر؟ ..

نعاني حاليا – رغم ظهور مفاهيم تربوية حديث رائعة وهامة جدا ومسايرة للوضع الحالي بشكل ما ولو دون كفاية – من قصور العنصر التربوي (الوالدان ، والمدرس الخ..) .

بمعنى : في حين يجب على المربي أن يرتقي بأساليبه التربوية ؛ نجده انشغل من حيث هو مطالب أكثر من أي وقت مضى بالتركيز التربوي , ويجب أن يعي تماما أن حمله التربوي بات أثقل وأخطر ، ورغم هذا نجده في انحسار عملي خطير ...فهل نربي المربي ؟ ..

لا يختلف اثنان عن أن المبادئ التربوية الإسلامية مازالت فعالة إلى يومنا هذا بخطوطها العريضة . أما التفاصيل فلنا الخيار في تشكيلها.. ، فلم ابتعدنا من حيث كان يجب الاقتراب ؟ .. ، لم لم نعد نشعر بسعادة في متابعتنا ، وتدقيقنا لسلوكنا قبل أن نقوم به ؟ ....

يقول الرئيس المرحوم/عزت بيجوفيتش في محاضرة له :

(إن العلم بالنسبة للعالم بحث ، وخبرة ، وجهد ، وأمل يتطلع إليه ، وتضحية ، وفي كلمة مختصرة : حياة ، وفوق كل شيء هو مصدر سعادة بالمعرفة ، وشعور سامٍ بأعلى القيم الأخلاقية .

ولا بد من مراعاة الدين ليكون العلمُ صافياً ونبيلاً ، وقد ورد في دعاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

«... نعوذ بك من علم لا ينفع » وقال رسول اللَّه (صلى الله عليه وسلم): «تعلّموا الْعِلْمَ ، فإن تعلُّمَه للَّه حسنةٌ ، ودرَاسَتَهُ تسبيحٌ ، والبحثَ عنه جهادٌ ، وطلبَه عبادةٌ ، وتعلُّمَه صدقةٌ، وبَذْلِه لأهْلِه قُربةٌ» .[82]

ما يحزن حقيقة عدم ارتقاء المنابر الثقافية والشعرية لمستوى التطور الحاصل حولنا , فهل هذا انحرف من نوعٍ آخر أم قصور ؟ .....

هل هناك أسباب وجيهة ذاتية داخلية تخص رواد المنابر ؟ حتى لا نكون في موقع اتهام من حولنا دوما , فالمجتهد يعمل رغم كل الظروف عبر المنافذ المتاحة ... فكيل اللوم بشكل دائم والشكوى الإدمانية تدفع للتقاعس بدلا من العمل والجد ، وهذا سيفتح أبوابا لم نكن لنتوقعها أبدا ...

[82] **- الرئيس السابق للبوسنة والهرسك راجع الرابط**
http://www.omferas.com/vb/showthread.php?31861-التطور-والحضارة-والقوة-ثلاثية-إسلامية&p=133173#post133173

العنصر الرابع والأخير تجديد الخطاب الديني .

مازلنا نتبادل وجهات النظر ، ونتبادل النقد والحوارات ؛ إما عن طريق محاورة المختصين ، وإما من قبل المنابر الحقيقية الخاصة بالخطابة الإسلامية , ومن هنا تحالفت واتفقت وجهات النظر حتى أترعتنا مقالات ونصوص واجتهادات دون أن نصل إلى النبض الذي سوف يجدد مسيرتنا ، ويحقق ما نصبو إليه ...

فإلى متى هذه الحيرة وهذا التخبط ؟

وقبل أن نلج الموضوع يحسن تعريف مصطلح الخطاب الديني ؟

الخطاب الديني في المعجم :

جاء في لسان العرب : الخُطبة مصدر الخطيب ، وخطب الخاطبُ على المنبر وا ختطب يخطب خطابه .

واسم الكلام : الخطبة .

والخطبة : اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر...

الخطبة عند العرب : الكلام المنثور المسجع ونحوه .

والخطبة : مثل الرسالة التي لها أول وآخر[83] .

فالخطبة – بالنظر إلى هذه التعريفات الثلاث – : نثر ورسالة ، ويمكنها أن تكون سجعا في زمن كان الشعر الملك .

أما التجديد فمعناه كما في اللسان : (ضد الخَلِق ، والخَلِق : القديم ؛ فالجديد خلاف القديم ، وجدد الشيء يجدده : صيره جديدا)[84] ؛ أي حول القديم فجعله جديدا .

قال محمد الشريف : (فالتجديد على ذلك : هو جعل القديم جديدا ؛ أي إعادة القديم ، ورده إلى ما كان عليه أول أمره)[85] .

وقال الدكتور سيف الدين عبد الفتاح : (فالتجديد يبعث في الذهن تصورا تجتمع فيه ثلاثة معان متصلة :

ا – أن الشيء المجدد قد كان في لأول الأمر موجودا وقائما ، وللناس به عهد .

ب – أن هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى ؛ فصار قديما .

ج – أن ذلك الشيء قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق)[86] .

---

[83] – لسان العرب : خطب .

[84] – لسان العرب : جدد .

[85] – تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف : ص 11 .

[86] – موقع إسلام أون لاين (مفاهيم ومصطلحات) .

التجديد في القرآن :

وقد ورد لفظ (الجديد) في القرآن الكريم ثماني مرات في مواطن متفرقة ؛ لا يخرج جميعها عن دلالة (البعث بعد الموت) كقوله تعالى : (أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ)[87] .

قال الحافظ ابن كثير : (وقوله " أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلأَوَّلِ " أي : أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من الإعادة ، " بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ " ، والمعنى : أن ابتداء الخلق لم يعجزنا ، والإعادة أسهل منه ، كما قال تعالى : " وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ "[88] ، وقال تعالى : " وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحيِي ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيۤ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ "[89] ، وقد تقدم في الصحيح : " يقول الله تعالى : يؤذيني ابن آدم ؛ يقول : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته "[90])[91] .

فتأمل هذه الدلالة الصريحة على أن (الجديد) لا يعني (المُحدَث) ؛ وإنما يعني في الحقيقة (المعاد إلى ما كان عليه أول وجوده) ، فـ(التجديد – من ثم – ليس (إحداثا لما لم يكن ، ولا قلبا له ، ولا تبديلا) ، بل إن تبديله (تحريف له ومسخ وتشويه) .

قال محمد الشريف : (ومن هنا يتبين أن تجديد الدين لا يعني تغييره أو تبديله ، وإنما يعني المحافظة عليه ليكون غضا طريا كما أنزله الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

والشيء إذا مرت عليه أحوال حتى صار قديما فإنما يأتيه التغيير والاختلاف عما كان عليه أول أمره من أحد ثلاثة أوجه :

ا – إما أن تطمس بعض معالمه ، حتى لا تتضح لمن ينظر فيها .

ب – وإما أن يقتطع منه شيء ؛ فتنقص بذلك مكوناته .

ج – وإما أن يضاف إليه ويزاد فيه ؛ حتى تختلف صورته .

والتجديد في تلك الأحوال يكون بإظهار ما طمس ، وإعادة ما نزع ونقص ، وإزالة ما أضيف وألحق .

فالتجديد على ذلك عودة للمنابع والأصول عودة كاملة صافية ، ودعوة للثبات على الحق ، وترك التقليد الفاسد القائم على الاتباع والمحاكاة على غير بصيرة ، ومن هنا يتبين أن التجديد عملية إصلاحية محافظة ، وليس عملية تخريبية متفلتة ، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الدين محفوظ من التغيير والتبديل ؛ حيث قال : " إن الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها "[92])[93] .

---

[87] – ق : **15** .

[88] – الروم : **27** .

[89] – يس : **78 – 79** .

[90] – صحيح البخاري من حديث أبي هريرة : رقم الحديث **4974** .

[91] – تفسير القرآن العظيم **7 / 397** .

[92] – أخرجه أبو داود في السنن **4 / 109** ، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم **599**) .

[93] – تجديد الخطاب الديني بين التاصيل والتحريف : ص **12 – 13** .

ولا يخرج عن معنى التجديد ما يترتب على الاجتهاد من مواكبة لمستجدات الحياة البشرية بتشريعات جديدة تستجيب لمقتضياتها ، لأن ذلك لا يجري مجرى الزيادة أو النقصان ؛ وإنما يجري مجرى التأويل داخل دلالة النص الأول بشروطه العلمية المعروفة لدى أهله .

من ضوابط تجديد الخطاب الديني :

وإن ثمة ضوابط كبرى لتجديد الخطاب الديني لا بد من اعتبارها ومراعاته ابتداء :

ضابط الانتماء : بحيث يكون المجدد للخطاب الإسلامي مسلما مؤمنا بالله ورسوله ؛ كي يخرج عن حد الاعتبار من ليس مسلما ، فهذا لا يقبل منه تجديد ولو كان من أهل الهيمنة السياسية والاقتصادية ، فهؤلاء قد يرون في شريعة الإسلام ما يهدد سلطتهم الوطنية أو العالمية فيقترحون على علماء المسلمين تبديل ما يعارض سياستهم وخططهم الرامية إلى حفظ سلطانهم .

ضابط التفقه والاستمساك : بحيث يكون المجدد للخطاب الديني متفقها في دين الإسلام ؛ عارفا حق ربه فيما يأتي ويذر من أحكامه ، فهذا هو الذي قصد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) .

ضابط الفقه بالواقع : بحيث يكون المجدد للخطاب الديني خبيرا بواقع الأمة ، عارفا بعللها ، وأن يكون محيطا بالأحوال العالمية من حوله ، والتي لها علاقة بأمته ، فإنه لا يتحرك في فضاء .

ويشير إلى بعض من تفاصيل هذه الضوابط الدكتور محمد نعيم هاني ساعي قائلا :

(لا يمكن أن نتحدث عن معنى تحديث الخطاب الديني إلا بمعرفة الحال الذي يجب أن يكون عليه حال الخطاب الديني في أصل الشرع وعرف العلماء والفقهاء ؛ وذلك أن التحديث في أصل اللغة يأتي بمعنى إدخال حداثة على شيء قديم موجود أصلا ، فما الأصل في الخطاب الديني ؟ ، وما مضمونه وفحواه ؟ ، وما صفاته وسماته ؟ ، وما قنواته ومصادره ؟ ، وما سمات حامله والناطق باسمه ؟ ، .. كلها أسئلة تحتاج إلى إجابة ، ومن جوابها يتحصل لنا المدخل الذي نستطيع من خلاله معرفة معنى التحديث الذي يريد الإصلاحيون الدخلاء إدخاله على خطابنا الديني)[94] .

ثم يضيف مؤكدا على أن كل مجسدات الخطاب الديني يجب أن تكون نسخة صحيحة موثقة عن الإسلام :

(لا يمكن للخطاب الديني أن يبتعد في جوهره ومضمونه وفحواه عن الإسلام نفسه في جوهره وفحواه ؛ لأنه المعبر عنه والمترجم له ، فإذا كان الإسلام في أصله ومضمونه أنه جاء للهداية والخير والصلاح ، وإرساء قواهد الحق والعدل وضمان السعادتين ؛ سعادة الدنيا والآخرة ، فإن الخطاب الديني لا يجوز أن ينقص عن هذا أو يعدوه ، وسواء كان هذا الخطاب درسا فقهيا ، أو حصة قرآنية ، أو محاضرة ثقافية ، أو فتوى شرعية ، أو كتابا ، أو مقالة ، أو رسالة جامعية ، أو ندوة علمية ، أو خطبة في يوم جمعة أو عيد ، أو لقاء تلفزيونيا ، أو برنامجا إذاعيا ، أو احتفالا بمناسبة دينية ، أو فيلما سينمائيا أو وثائقيا ، أو عملا فنيا تلفزيونيا أو مسرحيا ، أو .. أو .. ؛ كل ذلك يجب أن يكون نسخة صحيحة موثقة عن الإسلام نفسه .

فإذا رأيت الخطاب الديني شيئا غير ذلك فاعلم أنه ليس خطابا دينيا ، وإنما شيء آخر ؛ سمه ما شئت ؛ ولكن لن يكون أبدا خطابا دينيا ؛ لأن الإسلام بطبيعته لا يقبل التجزئة أو التحريف أو التخريق أو الترقيع)[95] .

---

[94] – الخطاب الديني بين تحديث الدخلاء وتجديد العلماء : ص 71 .

[95] – الخطاب الديني بين تحديث الدخلاء وتجديد العلماء : ص 71 – 72 .

ويقول الأستاذ محمد علي الخطيب في هذا المجال (وهناك ضوابط يجب أن نتقيد بها ، ولا نذهل عنها تحت ضغط حمى الحديث عن تجديد الخطاب الديني ، ومنها :

1– ألاَّ يؤدي تجديد الخطاب الإسلامي – بدعوى مواكبة التطورات والمتطلبات والمعطيات العصرية – إلى تغيير الثوابت ، أو التخلي عن أي مبدأ من مبادئ الإسلام ، أو الأحكام الشرعية المقررة .

2 – التحديث والتجديد ينصب على الخطاب الإسلامي ، وليس على الإسلام نفسه .

3 – مراجعة الخطاب الإسلامي يجب أن يرافقه إصلاح للخطاب السياسي والإعلامي على المستوى المحلي والعالمي .

4– تحريك عملية الاجتهاد والتجديد في أسلوب الخطاب ولغته وترتيب أولياته .

5– الموازنة والربط بين التأصيل الشرعي والاجتهاد .

6– تعزيز أساليب التفكير المستنير وحرية الرأي والتعبير وتقنية الحوار وفن الإقناع ، وفن الاستماع ، وفهم الآخر وتقبله من خلال إطار إنساني عام .

7– التجديد مهمة من ؟ وحق من ؟ .

8– العمل على تكامل وتناسق جهود الدعاة والإعلاميين والتربويين وسائر المعنيين بالخطاب الإسلامي .

9– ضرورة الاستفادة من جميع التقنيات الحديثة في مجال التواصل والاتصال)[96] .

وبعيدا عن أساسيات الخطاب الديني يمكننا التعريج على آفاته ؛ يقول الأستاذ مصطفى عنترة : (لقد أصبح الفكر الديني في موضع اتهام بعد السلوكات الشاذة التي ارتبطت ببعض التنظيمات الإسلامية في العقود الأخيرة ، مما جعل عملية النقد والتجديد والتحديث وما شابه ذلك من المفاهيم ضمن أولوية الأولويات) .

هل أدت فعلا تلك التنظيمات إلى تشويه الصورة ؟ .

أم أن هناك من له مصلحة في ذلك ؟ .

أم هي ثغرات في منهجها ذي الرؤية الصائبة في معظم الأحيان ؛ غير أنها لم تخطط لمنهج اجتماعي سياسي قوي ؟ ...

للإجابة على هذه الأسئلة الدقيقة الملحة يجب استعراض بعض الملامح التي تشكل من خلالها منهج عصري في التجديد ؛ لا يعتبر أهله الثوابت الشرعية سدا مانعا من تبديل أصول التشريع ومصادره ؛ بل يلغونها في كثير من الأحيان ، ويحسبون رصيد السلف العلمي – في تقديرها وتهيب حرمتها ، وما أسس على ذلك من القواعد والمناهج المجمع عليها – مجرد اجتهادات شخصية لا تلزم الخلف بنفس التقدير والتهيب .

الملمح الأول : تقديس العقل .

وقد لا يعده المجددون العصريون تقديسا إلا أن مسلكهم في الاعتداد بمرجعيته لا يجعله في مرتبة الوحي فحسب ؛ بل يرفعه فوقه درجات حين يخضعون مقرراته لحكمه .

يقول محمد الشريف : (فإذا دل العقل عندهم على شيء كان المقدم ، وما خالف العقل عندهم حقه التأخير ؛ ولو كان من نصوص الشريعة الصحيحة الصريحة)[97] .

---

96 – راجع المرجع السابق

97 – تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف ص 48 .

ثم مثل لذلك بالقضايا التالية :

معجزات الأنبياء : حيث يؤولونها بما يخرجها عن ظاهرها تأويل المشكك في حدوثها .

الغيبيات كوجود الجن والشياطين والملائكة : حيث يؤولون حقائقها تأويل المنكر لوجودها .

أحاديث أشراط الساعة : حيث يردونها رد الجاحد لوقوعها .

ثم حلل محمد الشريف وجه ادعائهم بقوله : (وليس في ذلك مخالفة للعقل ؛ لأن معنى مخالفة العقل أن تقام الأدلة العقلية على بطلان تلك الأمور ومخالفتها للعقل ، وليس عندهم أدلة على ذلك ؛ كل ما عندهم في ذلك أنهم لا يقدرون على إثباتها بالعقل ؛ فجعلوا عدم القدرة على الإثبات دليلا على عدم ثبوتها في الواقع)[98] .

ثم ساق مثالا بحديث من أحاديث أشراط الساعة الصحيحة الصريحة ؛ وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ؛ فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ؛ فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ؛ يا عبد الله .. هذا يهودي خلفي ؛ فتعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر يهود)[99] .

قال : (فأي شيء في هذا يخالف العقل ؛ تكلم الشجر والحجر ؟ .. ، وهل قام دليل عقلي على أن الشجر والحجر لا يتكلم ؟ .. كل ما هنالك أنه لا عهد لهم بذلك ، ولكن ليس في العقل ما يبطله ؛ ألم يقل الله تعالى " تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمٰوٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً "[100] ؟ .. ، ألم يقل الله تعالى عن الحجارة : " وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ "[101] ؟ .. ، ألم يقل الله تعالى في حق عيسى عليه السلام عندما أشارت أمه إليه ، وطلبت ممن يتشكك في طهارتها من قومها أن يستفسروا عن ذلك من عيسى ؛ وهو كان بعد رضيعا ، فقالوا لها مستغربين : " كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيّاً "[102] ، فقال عليه السلام فيما ذكره رب العزة في كتابه : " قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً . وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلاَةِ وَٱلزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً "[103] .. ، فأي شيء في ذلك يخالف العقل ؟ إلا أن يكون العقل منكوسا)[104] .

بناء فهم الشريعة على التحولات التاريخية .

وهذا الملمح ملجأ المجددين العصريين ومفزعهم في معظم تفسيراتهم المنكوسة للإسلام ، إذ يعلقون فهم نصوص الشريعة على التاريخ ، ويجعلونه حاكما عليها لئلا يبقى من ثوابت الإسلام شيء ، وتصير أحكامه قابلة للتبديل بعيدا عن سلطان الوحي المعصوم .

ومن أمثلة ذلك ردهم قطع يد السارق إلى انعدام السجون في زمان التشريع الأول ، وقصر الغاية من مشروعية الجهاد على مجرد رد العدوان ؛ وأنه لا صلة في الإسلام بين الجهاد ونشر الدعوة إلى الله ، وربط أحكام الذمة بفترة طارئة ارتبطت بملابسات الحرب القديمة بين المسلمين وغيرهم ، ..

---

[98] – نفسه .

[99] – صحيح مسلم : رقم الحديث **5203** .

[100] – الإسراء : **44** .

[101] – البقرة : **74** .

[102] – مريم : **29** .

[103] – مريم : **30 – 31** .

[104] – تجديد الخطاب الديني : ص **49** .

فهذه القضايا وما يشبهها إنما نشأت – لدى المجددين العصريين – داخل سياقات تاريخية مشحونة بالصراعات السياسية ، وما ترتب عليها من الحدة في تدبير الاختلاف الفكري والمذهبي ....

إلى أن يختصروا فساد مسلكهم في اعتبار الشريعة صالحة فقط لعصر النبوة وما تلاه من قريب العهود ، وأن آية التحضر ترك الشريعة إلى قوانين الوقت التي تتولى وضع دساتير الأنظمة القابلة للنقض والابتذال .

وهم في سبل تقرير هذا الملمح ليس سواء ، فمنهم المصرح والملمح ؛ لكنهم آخر المطاف سواء في إخضاع (النص الشرعي) لـ(التفسير التاريخي) ، وإذا رأيت أحدهم يدعو إلى (مشروع معرفي لفهم الإسلام) عن طريق (قراءة جديدة لتاريخ الشريعة) فاعلم أن الغاية من ركام الأوراق التي يسودها قطع الصلة بين نصوص الوحي وبين منزلها جل وعلى .

الاستهانة بحجية الوحيين .

يعسر على المجددين العصريين – أو يستحيل – لزوم حجة الشريعة ؛ لأن ذلك يقطع الطريق أمام مشروعهم الفاصم بين الأدلة الشرعية وسلطانها التشريعي ، فتراهم يقفون طويلا وقفة المريب عند التعارض الظاهر بين الأدلة الشرعية ، ولا يوردون وجوه الجمع والترجيح التي يرد بها الفقهاء تلك الأدلة إلى أصلها الواحد ؛ وذلك كي يسقطوا منها ما يودون ، ويستبقوا ما يودون .

والمتأمل في كثير من الأحكام التي جرت عندهم هذا المجرى يجد أن الغاية من طعنهم في حجية أدلتها السعي في موافقة الغرب المتبجح بالحرية والانفتاح ، ومن ذلك الحرص على موافقة الغرب في رد الحدود وأحكام العقوبات واستبشاعها كرجم الزاني ، وقتل المرتد .

فيعمدون إلى الطعن في الأعداد الهائلة من الأحاديث النبوية الثابتة تارة بالتشكيك في صحة أحاديث صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وتارة بعرض نص الحديث على نص القرآن ؛ وتعليق قبول ما اشتمل عليه على وجوده في القرآن ، وتارة بإخضاع الحديث لرؤاهم العقلية .

ومن مسالكهم اعتماد دعوى التفريق بين السنة التشريعية والسنة غير التشريعية ، وفي ذلك يقول محمد الشريف – في سياق عده لشبه المجددين العصريين – : (ومن ذلك وضع شروط للعمل بالسنة ؛ مثل ما يطلب بعضهم في نصوص السنة الخاصة بمسائل السياسة والحكم أن تكون نصوصا قطعية ؛ حتى يمكنهم التفلت من كثير من النصوص ، والأحكام المتعلقة بالسياسة مثلها مثل غيرها من الأحكام ؛ لا يشترط فيها التواتر أو القطعية .

ومن ذلك تقسيمهم للسنة إلى سنة تشريعية ، وسنة غير تشريعية ، وجعل كل ما تعلق بمسائل السياسة من السنة غير التشريعية ؛ أي السنة غير الملزمة للمسلمين بعد حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه أمور في غاية البطلان والكذب على الدين)[105] .

تسخير مقاصد الشريعة لما يناقض أدلتها .

يكثر استعمال (الاجتهاد) في كلام المجددين العصريين ، ويرون أنفسهم له أهلا ؛ وإن تعلق بأحكام الشريعة ، ويعدون شروطه العلمية تعصبا وجمودا وإقصاء ؛ لا سيما الاجتهاد المقاصدي الذي يحلونه محل المقولة السائدة (الغاية تسوغ الوسيلة) ، فيخترعون ما يتذرعون به لتبديل الديانة وإبطال الفرائض والأحكام ، ولا يستبقون منها إلا ما

[105] – تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف : ص 55 .

يستخرجون من (مقاصدها) ، وهذا المسلك الهدام مما يوافق هوى النفس ، ويقوي ميلها إلى الاستراحة وترك التكاليف ، فهل هذا تجديد في فهم الإسلام أم دعوة إلى تعطيله والتنصل منه ؟؟ .

ومرد هذه الآفة في منهج المجددين العصريين إلى طرق ما لا يعرفون والخوض فيما لا يفقهون ، وهم من هذه الناحية يتهيبون كل اختصاص ويحترمون أهله إلا اختصاص الشريعة فإنهم يحسبون أنفسهم مؤهلين للخوض فيه ، ولا يقبلون اعتراض أهله عليهم .

وقد علموا أن وقوعهم في هذا الحمى تحت شعار الحرية سبيلهم الأخصر الأسرع للوصول ؛ فحملوا على علماء الشريعة الأسلاف والأخلاف حملة العدو اللدود .

وهم في هذا أشبه بحاكم غير مؤهل لا يزال يجتهد ظانا أن نصيبه من أجر الاجتهاد كنصيب الحاكم المؤهل (أجرا ن أو أجر واحد على الأقل) ، والحال أن اجتهاده دائر بين وزر ووزرين .

وقد مثل الدكتور محمد ساعي لحالهم بحال الطبيب غير المتأهل ؛ قال : (فهو غير مأذون له أصلا في ممارسة مهنة الطب ، وهو محاسب موزور مخالف للقانون أصاب أو أخطأ ، فإن كان هذا في طب الأبدان واضحا لا مرية فيه ؛ فهو في طب الأديان أجدر وأولى .

لقد أصبحت ظاهرة مزعجة تسلق الغرباء أسوار الشريعة ، والتطفل على موائدها ، ولعل الأمر في حقيقته ليس متعلقا بكفاءة علمية ، ولا شهادة شرعية ، وإنما هو نوع موهبة للحديث ومخاطبة الجمهور ، فلا بأس لمن رزق شيئا من هذا أن يكون هاويا في الدين ؛ محترفا في التحدث باسمه !!! هراء ... وسفه ... وعبث بالدين لا يسر ولا يفرح إلا المتربصين بهذا الدين الكائدين له)[106] .

وقد مثل محمد الشريف لاجتهاد المجددين العصريين بما استخرجوه من أدلة فرضية الحجاب أن المقصد منها (حصول العفة ، وليس خصوص الحجاب ، فإذا أمكن تحقيقه بغير ذلك فلا يلزم لبس الحجاب ، ويقولون مثلا : إن الحدود وضعت كعقوبة زاجرة ، وهذا هو المقصد ، وليس المقصد العقوبة نفسها ، فإذا تحققت العقوبة الزاجرة بالسجن مثلا لم يلزم إقامة الحدود ، وكل هذا وأمثاله مسارعة في متابعة الكفار المعترضين على الشريعة في هذه الأمور ، فيعمدون إلى أي شيء يمكن من خلاله موافقتهم)[107] .

التعدد والاختلاف في قراءة النص الشرعي .

وهذا لدى المجددين العصريين أصل ؛ له حجية ، ووظيفته في منهجهم فسح المجال لتغيير الشريعة وتطويرها كلما دعت الحاجة ، ومدلول هذا الملمح (أن النص له مدلولات تختلف باختلاف القراءة ، وأن لكل أحد أن يقرأ النص بطرقته ، وخاصة في ضوء المعارف العصرية ، ثم يفهم بحسب ما تؤدي إليه قراءته) .

أما من يخالفهم في هذا من العلماء فإنه قراءته (تفسيره للقرآن .. شرحه للحديث) صفدت نصوص الشريعة ، ورهنتها بالرؤية المتشددة المشبعة بالصراع السياسي ، والضيق الشديد بالمخالف ، قال محمد الشريف : (ولذلك يظهر هؤلاء النقد الشديد للسلف تحت مسمى " نقد التيار السلفي " ، وقد يحدث أن يتورط بعضهم فيكشف عن حقيقة الدافع لدعوى تعدد القراء من غير أن ينتبه لذلك ؛ فيذكر أن " المجتمعات العربية والإسلامية هي مجتمعات متدينة ، ويغدو الحديث عن التقدم والنهضة والحضارة بغير استحضار الدافعية الدينية عن طريق ممارسة قطيعة مع الإرث الثقافي

---

106 – الخطاب الديني بين تحديث الدخلاء وتجديد العلماء : ص 97 .

107 – تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف : ص 50 – 51 .

والفكري والاجتماعي ؛ يغدو أمرا غير قابل للتطبيق " ، ويقد من وجهة نظره الحل الذي يجمع بين الدعوة إلى التقدم مع عدم القطيعة – من الناحية الشكلية – مع الإرث الثقافي والفكري والاجتماعي ، وهو " قراءة حضارية للنص ؛ تخرج ما غيبه التاريخ ، وتطرح قيم التواصل مع العالم المفتوح ، وقيم الحرية والتسامح والنهضة والتقدم الإنساني ، وتعيد مساحة المشتركات الإنسانية الواسعة)[108] .

نماذج من نصوص المجددين العصريين .

يقول الأستاذ عبد الله العروي في كتابه (السنة والإصلاح)[109] – بعد نفي القدرة على فك الغموض المحيط بوضع العرب التاريخي قبل الإسلام – : (وإذا كان وضع العرب لا يزال غامضا ، فإن ظاهرة القرآن[110] أكثر غموضا)[111] .

هكذا يبدأ العروي تناوله التشكيكي فيما قررته كتب تفسير القرآن ، ومصنفات السنة النبوية التي تجلى الإسلام من خلالها محجة بيضاء لا تحتمل حجيتها العلمية والعملية التأويل إجمالا ولا تفصيلا ، ولا تحتاج في ذلك كله إلى ما يسميه العروي وغيره (التطبيق التاريخاني) المساعد في نظرهم على فهم القرآن .

إن رسالة الإسلام – في أول مقامات حجيتها – تشريعية عملية ، وما يرتبط بأسباب نزول القرآن وتاريخ التشريع من سائر تلك المقامات دليل خادم لذلك المقام الأول ، وليس مناوئا متمردا عليه .

ولكي يمهد لرفع القدسية عن القرآن الكريم ، ويستبعد عنه النسبة الإلهية يقول : (عاش النبي[112] ثلثي حياته الأرضية بين هذا الشعب المعتاد على نقل البضائع وتبادل الأفكار . لم يكن أبدا متطفلا ؛ دخيلا على تاريخ الشعوب القديمة ؛ على اليهود والنصارى ؛ على المجوس وعلى الوثنيين . نشأ وتربى بينهم . بل هو ، إلى حد ما ، واحد منهم ، قبل أن يتبرأ منهم ويعتزلهم) .

ثم يقول : (في هذا الإطار ؛ بالنسبة لهذا التوجه التاريخي العام ؛ يبدو لنا ؛ ضرورة وبالاستتباع ؛ أن الإسلام ليس سوى " قراءة " يقوم بها شعب بعينه ، وذلك قبل أن تدون تلك القراءة الخاصة المتميزة في نص مضبوط)[113] .

---

[108] – نفسه : ص **51** .

[109] – هذا الكتاب عبارة عن جواب مفصل عن تساؤلات سيدة أجنبية مسلمة بحكم الانتماء ؛ راسلت المؤلف المؤلف تسأله عن حقيقة الإسلام التي يقدم بها نفسه ، وعن نظرة الإسلام إلى الأديان الأخرى ، وقد أفرد المؤلف الفصل الأول (ص **5**) لبيان ذلك ، وسماه (السائلة والمسؤول) .

[110] – دأب المجددون العصريون على اعتبار القرآن الكريم مجرد ظاهرة تقليلا من شأن إلهيته ، وتسوية له بالنتاج التأليفي البشري القابل للتبديل والتأويل ، لذا تراهم يربطون بين نشأة النص القرآني وبين نشأة النبي صلى الله عليه وسلم على نحو يسلب القرآن الكريم صفة النزول من عند الله تعالى .

[111] – السنة والإصلاح : ص **91** .

[112] – على هذا النحو درج العروي في كتابه كله : لا يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي عادة قبيحة جدا لدى كثير من المجددين العصريين ، ومن الدلائل الصريحة على فساد منهجهم .

[113] – السنة والإصلاح : ص **94** .

فقوله هذا صريح في رد نشأة القرآن إلى أساطير الأولين ؛ وأنه لا يشتمل مما يشتمل عليه على شيء جديد ؛ فضلا عن أن يكون من عند الله ، وأن الفترة الطويلة التي قضاها النبي صلى الله عليه وسلم بزعمه بين اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين هي المصدر التأليفي للقرآن ، ولئن قال في موطن آخر : (لا يجب الكلام هنا على الاقتباس والتأثر بقدر ما يجب الكلام على التأويل والاختيار)[114] .

فقوله هذا لا يغير من شبهته شيئا ؛ لا سيما وأنه يقول بعد سطور : (هذه ملاحظة تمهيدية تفرض علينا منذ البداية أن نفهم من كلمة قرآن ثلاثة معان على الأقل)[115] .

ثم يورد المعاني الثلاثة في الهامش ، وهي :[116]

قراءة خاصة للثقافة الهلستينية .

الرواية الشفوية الأصل .

الصيغة المكتوبة المحررة والمقعدة .

فهل يصح تعريف القرآن بهذا الحد المتخيل ؟ ..

وهل يصح استبدال الثقافة الهلستينية التي هي أدنى بالقرآن الذي هو أعلى ؟ ..

وما مصير الحد الذي أجمع عليه أهل التفسير وعلوم القرآن أن القرآن كلام الله المنزل ..... ؟

وهل يصح بعد اختصاصه بصفة التنزيل أن نفتعل له مصادر أخرى ؟ ...

أسئلة تكاشف منهج التاريخانيين قبل أن تحاكمه إلى مثل قوله تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) .

ثم يقيس العروي – باستخفاف عجيب – قوله تعالى من سورة الإسراء (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فدمرناها تدميرا) إلى قول اسكيليس في مسرحية نيوبه :

Dieu , Lorsqu'il veut ruiner à fond une maison ,
crée chez les mortels la cause de cette ruine .

وقوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) إلى قول لوكريسيس في كتابه " طبيعة الأشياء " :

La pitié ; ce n'est point se montrer à tout instant couvert d'une voile et tourné vers une pierre , et s'approcher de tous les autels ; ce n'est point se pencher jusqu'à terre en se prosternant , et tenir la paume de ses mains ouvertes en face des sanctuaires divins , mais c'est plutôt pouvoir tout regarder d'un esprit que rien ne trouble .

---

[114] – نفسه : ص 95 .

[115] – السنة والإصلاح : ص 95 .

[116] – نفسه .

ثم يعقب بقوله : (كم نجد من هذا النوع لو تابعنا البحث في هذه الثقافة التي نشأ الإسلام في أحضانها ! تأويل خاطئ لمفهوم الإعجاز دفع فقهاءنا إلى الإصرار على أن الإسلام نشأ في الصحراء) .

فهل يليق بنص القرآن الذي كلام الله تعالى وصفة من صفاته أن يقاس إلى كلام الخلق على هذا النحو المسيء ؟ .. ولو قاسه قياس المبرز لإعجازه لكان أقوم وأهدى ، ولكنه يقيسه قياس الطاعن في إعجازه ، وأنه ليس شيئا بعيدا عن تأليف البشر ؛ بل لم يؤلف حسب زعمه إلا في أحضان الثقافة التي أنتجت تلك النصوص التي يعرض القرآن عليها .

ولهذا يدعو المرأة التي كتب كتابه جوابا على تساؤلاتها إلى قراءة القرآن دون الرجوع إلى مصادر التفسير ، وأن المعاني الصحيحة لألفاظه وآياته نفس ما يتبادر إلى ذهنها ؛ يقول : (من هذا المنطلق يمكنك أيتها المسائلة أن تركبي بنفسك ولنفسك منظومة القرآن دون لجوء إلى مفسر أو مؤول ، سيري على النهج وستجدين أن ما يتبادر إلى ذهنك يثبته اشتقاق الألفاظ وتفصيل المفاهيم ..) .

ثم يضيف : (الكلمة الواحدة – يقصد من القرآن – تنسب إلى الإنسان ، وتصلح أيضا لوصف الخالق ؛ وإن بمعنى مخالف وربما معارض . باجتهادك هذا قد تقعين على معان لم ينتبه لها المفسرون المعتمدون) .

ولا يخفى ما في هذا من الاستخفاف بالرصيد التدبري الضخم الذي خلفته – ولا تزال – مصنفات التفسير ذات التنوع المنهجي الهائل في التصنيف .

أما الأستاذ الباحث أسامة عكنان فينحو نفس النحو من جهة التشكيك في صحة الصحيح من مرويات السنة النبوية التي قامت عليها أركان التشريع ، ولو اكتفى برد أخبار الآحاد المتعلقة بمجال الاعتقاد على طريقة بعض العقلانيين لهان الخطب ، ولكنه يجعل للعقل السلطان المطلق على نصوص الوحيين ؛ فلا يعتبر موازين أهل الجرح والتعديل صالحة للتفريق بين ما يصلح للاستدلال وما لا يصلح من الأحاديث النبوية ؛ بل يرد ذلك إلى مثل قوله :

(إن النصوص – ونقصد بها هنا نصوص القرآن والسنة – التي تصدت لاستصدار أحكامٍ بِخصوص القيم – التي هي في نهاية المطاف أحكام العقل على الأفعال الاختيارية – لم تُعَالِجْ تلك القيم بصورة تنم عن انفرادها بِحَقِّ معالجتها. فهي – أي النصوص – في هذا المقام لم تفعل شيئا أكثر من تأكيد ما قرره العقل) .

وهذا نزول بما أسس الله تعالى عليه أحكامه على الناجين والمغرقين في كل الأمم عن منزلته الضرورية ، وهو إنزال الوحي ، وبعثة الرسل في مثل قوله تعالى (وكذلك أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين) يونس

فمدار مشهد التكليف ومشهد الجزاء هنا على إبراز قيمة العدل الإلهي كما هو ظاهر ، لكن مداره الأول الأعظم على نفس بعثة الأنبياء بالوحي كما في الآية الأخرى في مطلع السورة : (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس)

فهما قيمتان اثنتان : (قيمة العدل الإلهي) الفاصل بين المرسلين والمرسل إليهم في الدنيا والآخرة ، و(قيمة الفعل الإلهي) المجسد لشرط العدل .

فهب جدلا أن العقل قادر على تقرير (قيمة العدل الإلهي) المقررة في الآية الأولى ، وأن هذه الآية ليست سوى تأكيدا لتقرير العقل .

فكيف يقدر على تقرير القيمة الثانية (الفعل الإلهي) المقررة في الآية الثانية ؛ بحيث يصح الاستغناء بتقريره عن تقرير الآية ما دامت مجرد تأكيد لتقريره ؟ .. ؛ علما بأن (قيمة الفعل الإلهي) هنا (بعثة 124000 رسول ونبي) ، و (إنزال قرآن وإنجيل وتوراة وزبور و..) وما لا نعرفه مما أشارت إليه الآية الكريمة : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) النساء : 163 – 164 .

هل يصح في ميزان الحكمة الإلهية أن (تهدر قيمة الزمن الإلهي) على هذا النحو الهائل في حين كان باستطاعة عقل واحد من عقول (المرسلين) أو (المرسل إليهم) الاستقلال بتقرير ما قررته كل الكتب المنزلة ، وما قرره كل الأنبياء والمرسلين ؟

بل ألا يصير نفس (اصطفاء الله لرسله وأنبيائه) ونفس (تكلمه) سبحانه – فضلا عن الزمن المبذول في كل ذلك – بهذا الاعتبار سدى سالبا لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله ؟

فإن قيل : (كون نصوص الوحي مؤكدة لتقريرات العقل لا يعني كونها فضلة) ؟ ..

فالجواب : أن كونها مؤكدة لتقريرات العقل يقتضي حتما سبق العقل إلى إدراك ما أكدت ، فما وجه حاجته إليها ؟ ؛ علما بأن هذا في ميزان الحجاج اضطراب يثير احتجاج المكلف .

ثم يصرح بنقض الأصل التشريعي الكبير (لا اجتهاد مع النص) :

(وكنتيجة لكل ما سبق نخلص إلى رفض المقولة السائدة في أوساط إسلاميي هذه العصور والمستندة إلى اجتهادات إسلامية قديمة ، والتي تفيد بـ " ألاَّ اجتهاد مع النص" ، وأن الاجتهاد يأتي فقط فيما لم يرد فيه نص ، نرفضها لنؤكد على حقيقةٍ أخرى تحمل المعنى المقابل تماما لهذه المقولة .

فالنص ليس حَكَماً نهائيا، على العقل أن يعمل ويتحرك داخل إطاره، وإلاَّ فلا حاجة بنا إلى هذا العقل ، بل إن العقل هو الأساس ؛ وما على النص إلاَّ أن يُفْهَم في إطار مقررات العقل) .

وهذا ينقض دعوى الحرص على تحقيق التكامل بين النقل ومقررات العقل التي يدعي تحقيقها المجددون العصريون ، لأن العلاقة بينهما صارت بهذا الاعتبار علاقة (سيد يقرر) بـ (مملوكه المطيع المدرك لحدود حمى سيده) ، وهو نفس معنى كلامه التالي :

(وبناء عليه فـ "لا نص مع العقل" إلاَّ إذا أُتيِحَت فرصةُ فهمِ النص بصورة لا تتعارض مع محتوى العقل ومعطياته وأنساقه المعرفية المختلفة سواء كانت أنساقا لغوية أو أسطورية أو تاريخية) .

وهذا لازم سلطة السيد المهيمنة على نشاط مملوكه ، وهذا الاستثناء (إلاَّ إذا أُتيِحَت فرصةُ فهمِ النص بصورة لا تتعارض مع محتوى العقل ومعطياته وأنساقه المعرفية المختلفة سواء كانت أنساقا لغوية أو أسطورية أو تاريخية.) ليس إلا تشديدا لخطوط الحمى الحمراء ، لأن (فهم النص بصورة لا تتعارض مع محتوى العقل ومعطياته ....) لا مصدر له آخر المطاف إلا العقل ، وفي هذا من التحكم والإقصاء ما يخالف أبسط مقتضيات الموضوعية المبثوثة في العقول السليمة ، وما أشبه مجال (نشاط النص) هنا ببرلمانات الأنظمة السائدة .

ثم يضيف الأستاذ أسامة عكنان (إن أي حديث عن منظومة القواعد التي ستمثل الركيزة المعيارية لمحاكمة المرويات المنسوبة إلى شخص الرسول ، يتطلب أمرين اثنين ، أولهما : القيام بتحليل مكونات جسم الرواية " أي

مُكَوِّنات النص المروي" للتعرف من خلال هذا التحليل على حقيقة التنوع في هذه المكونات ، وهو التنوع الذي سيترتب عليه بالضرورة تنوع مقابل في آليات المحاكمة "أي في قواعد المحاكمة" .

أما الأمر الثاني الذي يتطلبه الحديث عن قواعد محاكمة النص المروي ، فهو التَّعَرُّف – انطلاقا من المرجعية المعرفية المعتمدة لدينا – على الآليات المفترض اتباعها لمحاكمة كلِّ واحد من مكونات جسم النص ، المحاكمة التَّثَبُّتِيَّة التي من شأنها أن تحسم قطعا مسألة صحة أو عدم صحة نسبة ذلك النص المروي إلى مصدره الذي هو الرسول محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام) .

أما الأمر الأول فمنطقه منزاح وغريب إذ ما كان لنا أن نعرف (جسم الرواية "أي مُكَوِّنات النص المروي) لولا السند ، وهذه حقيقة بدهية تقررها سنة التاريخ ، ولو أمكننا القفز على حاجز الزمن اختزالا للقرون الفاصلة بيننا وبين مصدر الحديث (النبي صلى الله عليه وسلم) لاستغنينا عن رواته .

وهذا يقتضي أن أسانيد الحديث أنساب متونه ، وأن تجاوز النسب يعني عدم التفريق بين الأصيل والدخيل ، وبين العريق واللقيط .

أما الأمر الثاني فوجوه تفنيده عديدة ؛ منها أنه لا يتصور للنص المروي صحة دون تصور حال من رواه .

إننا لا نزال نؤكد في أداء رسالة الإعلام على المهنية والمصداقية ، وهذا التأكيد لا يعني إلا شيئا واحدا ، هو أمانة النقل التي لا معنى لها إلا أمانة الناقل .

فإذا قرنا التثبت من الخبر الإعلامي وكشفنا صحته أو زيفه فإننا لا نلوم أو نشيد بذات الخبر ، وإنما نلوم أو نشيد بمصدره الأول (الناقل) .

وهذا محل اتفاق عقلاء العالم ، ولا يخفى أن علوم الحديث التي تولت صيانة مروياته لم يدفع علميتها وموضوعيتها من القرن الرابع الهجري إلى الآن سوى جماعة معدودين من غير أهل الاختصاص .

وأقول (من غير أهل الاختصاص) لأن هؤلاء الجماعة المعدودين لم يستطيعوا إلى الآن الاستدراك على نظريات تلك العلوم بتفنيد معرفي شامل دقيق يضاهئ دقة المنهج العلمي الذي قامت عليه ، فضلا عن أن ينشئوا منهجا بديلا ، يمتلك مقاومة الأول وصموده المستمر إلى الآن .

إن المنهج العلمي الذي تولى صيانة الحديث النبوي لم يكن مجال تجسده فكرة ، أو رؤية ، أو بحث ، أو مؤسسة فكرية ، أو مركز ثقافي ، ... لقد كان مجال تجسده أمة امتد حكمها حتى غمر آفاق الدنيا ، وعاصرت وحاورت وناظرت وخالطت بمناهجها العلمية وحضارتها السمية أمما تخالفها ديانة وأعرافا ، ولم تكن عمدتها في كل ذلك إلا تلك المرويات في صورتها الناضجة نقلا وعرضا وتوثيقا وتصنيفا في أمهات كتب الحديث ، فما انتقد منهجها الشامل في التثبت من تلك المرويات مخالف فضلا عن الموافق ، حتى ظهرت حركة الاستشراق التي ابتدعت في أدائها السلبي مناهج الطعن في مرويات الحديث النبوي ، محاولة النيل من منهج معرفي إسلامي متكامل دون جدوى .

إن محاكمة المروي بقواعد لا تدخل في اعتبارها حال راويه هدم لقواعد الدين والعلم جملة ، وهو أيضا تصنيف للراوي في (طبقة غير العقلاء) لا سيما إذا كانت نتيجة المحاكمة الحكم على المروي بالبطلان عقلا وهو صحيح نقلا .

ومن آثار هذا المنهج تقييم مصادر التشريع الإسلامي اختلاق الشبه لرد الأحكام الشرعية كما في قول الأستاذ عكنان – عن أحكام الحجاب : (إن تغطية الجيوب لا تتطلب بالضرورة اللباس المتعارف على تسميته بالزي الشرعي أو بالحجاب) .

ولا يخفى أن من مظاهر الإعجاز التشريعي الإسلامي أن النصوص المشتملة على الأحكام تستمد صحتها ومشروعيتها الواقعية من مصدرين اثنين :

المصدر العلمي ذي الصلة بصحة سند الحديث المشتمل على الحكم .

والمصدر العملي الدال على انسجام ذلك الحكم – كما يؤديه المكلف – مع مقتضيات عقله ، ثم يقع اطراد ذلك الأداء على نحو واحد في أجيال الأمة ، وكل حقب وجودها ، فيزداد ذلك الحكم قوة ورسوخا ، ويصير له امتداد رسالي يشكل حصنا حضاريا دائما ترتطم على سوره المتين العالي كل محاولات النيل من شرعيته .

ومن الأمثلة على ذلك (حجاب المرأة المسلمة) أو (نقابها) ، فلا تزال المرأة المسلمة العربية والغربية والشرقية ترتديه ، ولا يزال ذا حيز بارز في كل مكان ؛ يضاهئ سائر أشكال الزي النسائية في الساحات والأسواق والجامعات والإدارات منذ أن عرف الإسلام إلى الآن ، وفي مسوغات أدائه الشرعية من طاقة التحدي ما يضمن استمراره إلى قيام الساعة ..

فلم يصر (القرآنيون) على الاستخفاف بعقول الأمة ؟ ..

أليس في إصرار منقبات فرنسا على أن يكن حرائر بنقابهن – متحديات نظام التغريم – دليلا على طاقة علمية وعملية ذاتية يحيا بها هذا التشريع ؟؟ ..

نماذج من نصوص المجددين المقسطين

ولما أوردنا نماذج من نصوص المجددين العصريين كشفا لمنهجهم التاريخاني الذي أسقطوا به قدسية القرآن ؛ لزمنا تحقيقا للعدل والإنصاف أن نورد نماذج من نصوص المجددين المقسطين الذين سلكوا في فهم القرآن والإسلام مسارا يزيد حجة القرآن سطوعا ، وشرعة الإسلام سموقا .

يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله – في بيان ضرورة المواهب ، وأثرها في تحقيق النظام الإنساني واستمراره تحت قوله تعالى (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)[117] :

(إن الحق سبحانه لم يجعل من إنسان واحد مجمع مواهب ، بل نثر الله المواهب على الخلق ، وكل واحد أخذ موهبة ما .

لماذا ؟ .. لأن الله قد أراد أن يتكامل العالم ، ولا يتكرر ؛ فالتكامل يوحي بالاندماج .

فإذا كنت أنت تعرف شيئا خاضعا لموهبتك ، وأنا لا أعرفه ؛ فأنا مضطر أن ألتحم بك ، وأنا أيضا قد أعرف شيئا وأنت لا تعرفه ؛ لذلك تضطر أنت أن تلتحم بي .

وهذا اللون من الالتحام ليس التحام تفضل . إنما هو التحام تعايش ضروري .

لكن لو أن كل واحد صار مجمع مواهب ، لاستغنى عن غيره من البشر ، وأقام وحده بمفرده ، وينتهي احتياجه للمجتمع الإنساني . فكأن الله حين وزع أسباب الفضل على الخلق يريد منهم أن يتكاملوا ويلتحم بعضهم ببعض ؛ لا

---

[117] - هود : 61 .

التحام فضل ، ولكن التحام تعايش ضروري ؛ لأن واحدا يريد ما ينتجه الآخر بموهبته ، والآخر يريد من إنسان غيره ما هو موهوب فيه . ولذلك فالناس بخير ما تباينوا ؛ لأن كل منهم يحتاج إلى الآخر ، ولذلك لا نجد أي تقدم في مجتمع إلا إذا كانت المواهب في هذا المجتمع مختلفة وممتازة .

أما حين يوجد قوم لهم مواهب متحدة فلا بد أن يقاتل بعضهم بعضا ، لكن عندما يكون كل واحد في حاجة لموهبة الآخر ؛ فهم يتعايشون ؛ لأن الحياة لا تسير إلا بالكل ، ولذلك إذا استوت جماعة في المواهب فلا بد أن يتفانوا لأنهم يتنافسون فيها ، ويريد كل واحد منهم أن يستأثر بها لنفسه ، لكن لا أحد في المواهب المتكاملة يقول : لماذا يكون فلان أفضل مني ، لأنه يعرف أنه من الضروري أن يوجد المهندس ، والطبيب ، والصانع .

ولذلك تجد الوجود منظما بذاته التنظيم الطبيعي الذي يوجد قاعدة ، ويوجد قمة ، فالقمة الصغيرة تحملها القاعدة الكبيرة . ولو عكست الهرم لصارت مشكلة ؛ لأن الأمر في هذه الحالة سيجد به جوانب كثيرة ؛ ليس لها أساس ، ولا ترتكز على شيء ، ولذلك فمن الحكمة إذا رأيت في المجتمع واحدا قد ذهب إلى القمة ؛ فأعنه أن يستمر متفوقا ، ولا تصطرع معه فتسقطا جميعا ، فلا بد من التفاضل كي ينشأ التكامل)[118] .

ثم يوضح الشيخ الشعراوي وجوه توزع أمر الله في حياة الإنسان حقا وعدلا ؛ بأسلوب القريب الخبير :

(والحق سبحانه وتعالى يعرض لنا هذه القضية عرضا اجتماعيا ، وعرضا اقتصاديا ، ليبين لنا أن أصل الوجود يجب أن ينشأ على أمر اجتماعي ، وأمر اقتصادي ، لماذا ؟ .. لأن الإنسان مشغول أولا باستبقاء حياته ، ثم باستبقاء نوعه . واستبقاء حياة الإنسان بالقوت ، واستبقاء نوعه بالزواج . واستبقاء الحياة بالقوت يحتاج إلى حركة في الحياة ، والحق يحترم ثمرتها ، وعندما يريد الحق أن يرقق قلب المتحرك على أخيه العاجز فهو يقول :

(من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا)[119] كما ضربنا المثل من قبل – ولله المثل الأعلى – ، وقلنا : إن الإنسان يعطي أولاده مصروفا ، وكل واحد منهم يضعه في حصالته ، فهب أن واحدا من الأولاد اضطر إلى شيء عاجل كإجراء جراحة ، هنا يذهب الرجل إلى أولاده ، ويقول لهم : أقرضوني ما في حصالاتكم لأن أخاكم يحتاج إلى عملية ، وسأرده لكم بعد ذلك مضاعفا .

إن الأب لم يرجع في هبته ليقول إن ما الحصالات هو مالي وسآخذه . لا ، هو مالكم ، لكنه سيكون دينا عندي ، كذلك يصنع الله مع الخلق فيوضح : بعضكم عاجز ، وبعضكم قادر ، وسأتكفل أنا بالعاجز ، وأقترض من القادر . وكان ضروريا أن يكون بعضنا عاجزا ، حتى لا يظن أحد أن القوة ذاتية في النفس البشرية . لا ، إن القوة موهوبة ، ويستطيع من وهبها أن يسلبها . وحتى يعرف صاحب القوة أن القوة ليست ذاتية فيه ، يجد بجانبه إنسانا آخر عاجزا . لكن هذا العاجز الذي سيلفت القوي إلى أن القوة ليست ذاتية ، ما ذنبه ؟ ..

إن الله قد جعله وسيلة إيضاح في الكون وكأن الحق يقول : سنضمن لك أيها العاجز المستوى اللائق من الحياة من أثر قدرة القادر ، وما دام من اثر قدرة القادر ، فهل سيتحرك القادر في الكون على قدر " حاجته " أو على قدر " طاقته " ؟ .. لا بد أن يتحرك على قدر طاقته ، لأنه لو تحرك على قدر حاجته فلن يجد ما يعطيه للعاجز)[120] .

ثم يضيف – رابطا بين البعدين الاقتصادي والاجتماعي في حياة الإنسان ، وبين بعثه وإحيائه بخطاب الأصولي المعاصر المحيط بعلوم زمانه :

---

[118] - تفسير الشعراوي 2 / 1143 – 1144 .

[119] - البقرة : 45 .

[120] - تفسير الشعراوي 2 / 1144 – 1145 .

(ويتكلم الحق سبحانه وتعالى عن تلك القضية المهمة في البناء الاجتماعي والبناء الاقتصادي بعد إثبات قضية البعث والإحياء والإماتة لكي تكون ماثلة أمامنا ، وينتقل بنا الحق سبحانه وتعالى كي يعطينا الكيان الإسلامي الاقتصادي والاجتماعي ؛ فيقول جل شأنه : (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)[121] .

إن الله ينسب المال للبشر المتحركين ، لأنهم أخذوا هذه الأموال بحركتهم . وزفي موضع آخر من القرآن يقول الحق : (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم)[122] .

إن المال كله مال الله ، وقد أخذه الإنسان بالحركة ، فاحترم الله هذه الحركة ، واحترم الله في الإنسان قانون النفعية ، فجعل المال الباقي من حركتك ملكا لك أيها الإنسان ، لكن إن أراد الله هذا المال سيأخذه ، ومن فضل الله على الإنسان أنه سبحانه حين يطلب من الإنسان بعضا من المال الباقي من حركته ؛ فهو يطلبه كقرض ، ويرده مضاعفا بعد ذلك .

إذن فالإنفاق في سبيل الله يرده الله مضاعفا ، وما دام الله يضاعفه ؛ فهو يزيد ، لذلك لا تحزن ، ولا تخف على مالك ، لأنك أعطيته لمقتدر قادر واسع عليم . إنه الحق الذي يقدر على إعطائه كل واحد حسب ما يريد هو سبحانه ، إنه يعطي على قدر نية العبد ، وقدر إنفاقه . وهذه الآية تعالج قضية الشح في النفس الإنسانية ، فقد يكون عند الإنسان شيء زائد ، وتشح به نفسه ويبخل ، فيخاف أن ينفق منه ؛ فينقص هذا الشيء .

وهنا نقول لك قضية الإيمان : أنفق لأنه سبحانه سيزيدك ، والحق سيعطيك مثلما يعطيك من الأرض التي تزرعها . أنت تضع الحبة الواحدة . فهل تعطيك حبة واحدة ؟ .. لا . إن حبة القمح تعطي كمية من العيدان ، وكل عود فيه سنبلة ، وهي مشتملة على حبوب كثيرة ، فإذا كانت الأرض ؛ وهي مخلوقة لله ؛ تضاعف لك ما تعطيه ؛ أفلا يضاعف العطاء لك الذي خلقها ؟ .. ، وإذا كان بعض من خلق الله يضاعف لك ، فما بالك بالله جل وعلا ؟)[123] .

****

أما الشيخ الحسن بن محمد ماديك[124] فإنه من المجددين الرائدين في مجال تفسير القرآن الكريم ، وتجديده التفسيري العلمي الرصين ليس تجديد مثقف أو مفكر أو باحث فحسب ، إنه تجديد قارئ مقرئ متخصص في تحرير طرق القراءات العشر ، فهو لما جدد وأبدع أهل ، وبارتياده حري حقيق .

وقد التأمت أبحاثه الجديدة في تفسير القرآن قواعد وبيانا ، فصارت كتابا حافلا ؛ سيطبع قريبا إن شاء الله في مجلدات ، سنقتبس منه هاهنا نماذج كاشفة لرسوخه ، ودقة إبصاره ، وتميز رؤيته بالعمق والشمول .

يقول تحت قوله تعالى : (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين)

(إن الذين فرضوا على الناس تقليدهم في فقههم وفهمهم وحجروا على الرأي والفكر والعقل فأغلقوا دون الاجتهاد بابا ، لم يسعهم وخالفوا ما ارتضاه الله من المخالفين وأذن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقبوله منهم وهو أن يأتوا بالدليل ، وسيعقل من تدبر القرآن أنه ناقش فريقين من المخالفين :

---

[121] - القرة : 261 .
[122] - النور : 33 .
[123] تفسير الشعراوي 2 / 1145 – 1146 .
[124] راجع سيرته الذاتية عب الرابط:
/http://www.omferas.com/vb/t36524

أحدهما كافر مشرك بالله ، خوطب في الكتاب المنزل من عند الله باستعمال السمع والبصر والفكر والعقل لإدراك الأدلة العقلية والحسية المادية ليهتدي إلى أن الله هو رب كل شيء وخالقه ومدبر أمره ، وليعبده المكلفون ، وليخافه من يفقهون ويعقلون ، وخطاب هذا الفريق كما في قوله :

. ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ﴾ الطور 35 . 36

. ﴿ قال فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ﴾ البقرة 258

. ﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ﴾ الفرقان 3

وجلي من تفصيل الكتاب المنزل خطابهم وتكليفهم باستعمال العقل وأدوات التفكير ليتبيّنوا من حرف الطور أنهم لم يخلقوا أنفسهم وإنما هم المخلوقون وأن الذي خلقهم هو الذي خلق السماوات والأرض ولهو إذن أحق بالعبادة من الأصنام وسدنتها .

وليتبينوا من حرف البقرة أن السنن ونظام الحياة التي فطر الله عليها الكون لن يستطيع تغييرها غير رب العالمين .

وليتبينوا من حرف الفرقان أن الله الذي يخلق ويملك الضر والنفع ويملك الموت والحياة والنشور خير من آلهتهم التي لا تقدر على شيء من ذلك .

وثاني الفريقين من المخالفين يقرّ بالله ربه الخالق خوطب في الكتاب المنزل من عند الله بأن الدليل أي الحجة والبرهان والسلطان المبين أي البيّن له أو عليه إنما هو ما تضمنه الكتاب المنزل من عند الله ، وكذلك دلالة قوله :

. ﴿ أم آتيناهم كتابا فهم على بيّنة منه ﴾ فاطر 40

. ﴿ أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ﴾ الزخرف 21

. ﴿ أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكّرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين ﴾ الصافات 153 . 157

. ﴿ إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون إنّ لكم فيه لما تخيّرون ﴾ القلم 34 . 39

. ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ البقرة 111

. ﴿ كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ عمران 93 . 94

ويعني أن الكتاب المنزل من عند الله كالتوراة أو الإنجيل أو القرآن كل منه بينة وحجة لمن استمسك به في سلوك أو قول أو تصور ، إذ الكتاب المنزل من عند الله هو العهد منه كما في قوله ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ البقرة 80 ويعني أن لم يتخذوا عند الله عهدا أن لن تمسهم النار إلا أياما معدودة بل هو مما قالوه بغير علم إذ لم يتضمنه الكتاب المنزل من عند الله إليهم وهو التوراة ، وكما في قوله ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمان عهدا كلا ﴾ مريم 77 . 79 ويعني أن الذي زعم أن سيؤتى لو بعث في الآخرة مالا وولدا كما في الدنيا إنما يفتري الكذب إذ لم يطلع

الغيب كالنبيين والرسل بما يوحى إليهم ، ولم يتخذ عند الله عهدا أي لم يتضمن الكتاب المنزل من عند الله تصديق زعمه .

ويعني حرف فاطر أن من خالف في سلوكه أو قوله أو تصوره ما أمر الله به في الكتاب المنزل من عنده فلا يدّع موافقة الحق إذ لم يكن على بينة من ربه بالكتاب المنزل من عنده .

ويعني حرف الزخرف أن المقلدين الذين يحتجون بالقدر ليفلتوا من الحساب والعقاب ليسوا على علم بل يتبعون الظن ويكذبون إذ لم ينزل عليهم كتاب من الله يتضمن تصديق احتجاجهم بالقدر يستمسكون به ليكون لهم حجة عند الله يوم القيامة .

ويعني حرف الصافات أن الذين يزعمون أن الله قد اصطفى البنات على البنين مخطئون في حكمهم إذ ليس لديهم كتاب منزل من عند الله فيه سلطان مبين أي حجة واضحة على صدق زعمهم .

ويعني حرف القلم أن الذين يزعمون أن الله لن يدخل المتقين جنات النعيم ، بل سيدخلهم النار كالمجرمين قد أخطأوا في حكمهم إذ ليس لديهم كتاب منزل من عند الله قد درسوا فيه أن لهم ما يتخيّرون من الأماني .

ويعني حرف البقرة أن اليهود الذين زعموا أن لن يدخل الجنة إلا من كان منهم ، وأن النصارى الذين زعموا أن لن يدخل الجنة إلا من كان منهم إنما يتمنون ، وهم جميعا كاذبون إذ لم تتضمن التوراة ولا الإنجيل تصديق أمانيهم .

ويعني حرف عمران أن الذين يزعمون من بني إسرائيل أن لم يكن كل الطعام حلا لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة إنما هم مخطئون في زعمهم وكاذبون إذ لم تتضمن التوراة المنزلة من عند الله تصديق زعمهم .

ألا إن هذا هو الإنصاف من رب العالمين ضاق به ذرعا بعض المنتسبين إلى العلم الشرعي وحملوا المكلفين على تعطيل السمع والبصر والفكر والعقل واستبدالها بالتقليد) .

ثم يضيف تحت عنوان (القرآن أعظم مما يتصور المقلدون)

(إن قوله :

. ﴿ أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ الطور 33 . 34

. ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ هود 13

. ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ يونس 38

. ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدّت للكافرين ﴾ البقرة 23 . 24

ليعني أن الذين يزعمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد تقوّل القرآن وافتراه من دون الله مأمورون في القرآن أن يأتوا بحديث مثله أو عشر سور مثله أو سورة مثله أو من مثله ثم ليدعوا من استطاعوا من دون الله أي شهداءهم الذين يشهدون أن ما جاءوا به هو مثل القرآن أو مثل عشر سور منه أو سورة منه ، وأخبر الله عنهم أنهم لن يستجيبوا ولن يستطيعوا ولن يفعلوا بل سيعجزون عن الإتيان بمثله كما في قوله ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ الإسراء 88 .

وحسب التراث الإسلامي أن العجز الذي سيصيب الإنس والجن عن الإتيان بمثل القرآن ولو ظاهر بعضهم بعضا وأعانه هو عجزهم عن الإتيان بمثل أسلوبه ونظمه وفصاحته وبلاغته ... وكذلك لن يستطيع الإنس والجن ، غير أن عجزهم عن الإتيان بمثله يعني أن لن يستطيعوا أن يأتوا بكتاب من عند الله يصدّق دعواهم أن القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو مفترى من دون الله .

إن كتابا منزلا من عند الله هو وحده الذي يقع عليه الوصف بأنه مثل القرآن ، وسورة منزلة من عند الله هي التي يقع عليها الوصف بأنها مثله ، وكذلك عشر سور مثله وحديث مثله ، وللذين يعترضون أن يتأملوا قوله ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ البقرة 106 وإنما يعني بمثل الآية التي يقع نسخها إنزال آية أخرى من عند الله تحلّ محلّ الأولى ، وهكذا فلن يصح نسخ الكتاب المنزل بالحديث النبوي ، ويأتي بيان قوله ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ﴾ البقرة 137 وقوله ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴾ الأحقاف 10 في كلية الكتاب ، أما غير المنزل من عند الله فلن يصح وصفه بأنه مثل المنزل من عند الله .

ويعني حرف الطور أن الذين يزعمون أن النبي الأمي صلى الله عليه وسلم قد تقوّل القرآن لن يسلم لهم زعمهم قبل أن يأتوا بحديث مثل القرآن أي منزل من عند الله يعلن تصديقهم في زعمهم .

ويعني حرف هود ويونس والبقرة أن الذين يزعمون أن النبي الأمي صلى الله عليه وسلم قد تقوّل سورا أو سورة من القرآن ، لن يسلم لهم زعمهم قبل أن يأتوا بسورة أو بسور منزلة من عند الله تتضمن تصديق زعمهم فيما زعموا .

إن الله أذن لليهود الذين يزعمون خلاف ما تضمن القرآن أن يأتوا بالتوراة إن كانوا صادقين وليتلوا منها تصديق زعمهم الذي خالفه القرآن ليكون لهم حجة كما في قوله :

. ﴿ كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ عمران 93

. ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ البقرة 111

ويعني أن التوراة دليل كاف إذ هي مثل القرآن كل منهما كتاب منزل من عند الله .

إن الله قد أرسل كل رسول بآيات خارقة معجزة من جنس ما بلغه الناس المرسل إليهم من العلم والأسباب ، ولتكون الآيات الخارقة مع الرسل بها هي الحق الذي يقذف به رب العالمين على الباطل فيدمغه فيزهق حينئذ كما في قوله ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ الأنبياء 18 ، وكذلك قذف بالحق مع موسى على الباطل مع السحرة فدمغه فزهق من حينه ، ويعني أن لو كان القرآن باطلا أي مفترى من دون الله لأنزل الله كتابا من نوعه يدمغه فيزهق وهو دلالة إعجاز القرآن كما في قوله :

. ﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ﴾ القصص 48 49 .

. ﴿ أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا ﴾ الأحقاف 8

. ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ هود 13

. ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ يونس 38

. ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ البقرة 23

. ﴿ أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ الطور 33 . 34

ويعني حرف القصص أن الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه وهو القرآن لم يؤمن به بعض المكذبين بسبب أن لم يؤت محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتي موسى من الآيات الخارقة للتخويف والقضاء التي أرسل بها إلى فرعون وملئه ، فزعموا أن موسى ومحمدا افتريا التوراة والقرآن فخوطبوا في القرآن أن يأتوا بكتاب من عند الله يثبت صدقهم إن كانوا صادقين ، وليتبعن محمد صلى الله عليه وسلم كل كتاب منزل من عند الله .

ويعني حرف الأحقاف أن الذين يزعمون أن القرآن مفترى من دون الله لن يملكوا من الله شيئا يصدقهم في دعواهم أي لا يستطيعون أن يأتوا من عند الله بشيء ومنه بعض سورة من مثل القرآن ولا أن يأتوا بآية خارقة من عند الله تثبت صدقهم .

وإن دلالة أمر المكذبين بدعوة من استطاعوا من دون الله وشهدائهم الذين يشهدون لهم أن كتابا مثل القرآن أو مثل بعضه هو من عند الله يصدقهم في زعمهم أن القرآن مفترى من دون الله ليعني أن المفتري على الله كتابا أو آيات بينات مفضوح في الدنيا معذب فيها كما هي دلالة قوله ﴿ قل إن افتريته فعليّ إجرامي ﴾ هود 34 ومن المثاني معه في قوله ﴿ وإن يك كاذبا فعليه كذبه ﴾ غافر 28 وقوله ﴿ ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ الحاقة 44 . 47 أي أن المفتري على الله سيفتضح ويعذب في الدنيا بإجرام الافتراء على الله .

وحرف غافر من قول رجل مؤمن من آل فرعون يعني أن موسى إن يك كاذبا على الله فلن يحتاجوا إلى قتله بل سيؤاخذه الله في الدنيا بكذبه) .

تجديد الخطاب الديني ومقتضيات المواكبة .

يقول الأستاذ مصطفى عنترة في مقاله :

(النخب الفاعلة داخل البلدان الإسلامية تشعر اليوم على وجه الخصوص بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقها ؛ بمعنى أنه إذا لم تقم نخب هذه البلدان بمراجعة هذا الفكر والعمل على تجديده ليواكب تطورات العصر فإن

"الإمبراطورية الجديدة" – الولايات المتحدة الأمريكية – المتحكمة في صناعة القرار الدولي – ستتدخل كعادتها لإلزام البلدان الإسلامية بالقيام بمراجعته وفق منظورها ، وخدمة لمصالحها الظرفية والاستراتيجية)[125] .

نعم تلك العيوب الثقيلة التي لم نحسن حملها جعلت أيدي الغرب تمتد لتخوض في بحر الخطاب الإسلامي محاولة تغريبه ، وحرفه عن مسيرته بسلوك متهور ؛ قد تكون هي أول من يشعل فتيله ، أو عن طريق حرب إعلامية تنال منه ومن رفعته ، وإن كان الاستاذ مصطفى لا ينكر محاولة بعضهم أن يكون على مستوى الحدث ، ويحاول بقدر الإمكان ردم الهوة بين الحداثة والثغرات والأمور الملحة بقوله :

(ولعل بعض البلدان الخليجية قد التقطت مضامين إشارات الأمريكان ، وشرعت في القيام بإصلاحات سياسية ودستورية لم تصل بعد إلى المستوى المطلوب ..)[126] .

لكن هناك من أكد على أن الخطاب الديني إن لم تشاركه نهضة عامة لن يحقق مايصبو إليه ؛ يقول الأستاذ الجامعي مصطفى الزاوي :

(لا يمكن تحديث الفكر الديني دون تحقيق التنمية الاجتماعية)[127] .

ولكن الأمر ليس مسلما به وسالما من النقد ؛ فالنقد يصقل ويهذب ، ويضع المؤشر على نقاط الضعف التي يجب أن نرصدها بعناية ؛ يقول عزيز الأزرق الباحث في مجال الفلسفة :[128]

قول بن سالم حميش، باحث في مجال الفكر العربي الإسلامي

(أحسن شيء هو التعايش السلمي بين الدين وتطورات العصر)[129] إن جل الخلافات الدينية التي ظهرت منذ فجر الإسلام هي سياسية بحتة ، وهنا يقول الأستاذ مصطفى : (معظم الخلافات الدينية لها جذور سياسية ، ونعلم أيضا أن الخلاف السياسي الذي ظهر بين المسلمين في عهد الخلافة الراشدة ، والذي أدى إلى ما يعرف في التاريخ الإسلامي بالفتنة الكبرى ، قد حسم في نهاية المطاف بقوة السيف وليس بالاحتكام إلى الدين ، ومنذ ذلك الوقت ، ظل الفهم السائد للدين هو دائما فهم الفئة أو الطبقة والسائدة ، والفقيه خادم الأمير ما بقي الأمير قويا لا ينازعه منازع أو منافس أقوى منه)[130] .

قيام دولة دينية يعني تحقيق المبادئ والقيم الدينية المثلى التي تتسم بالكمال والإطلاقية كما قلنا ، وتجسيدها في واقع تاريخي معين ، وهو ما يعني بصيغة أخرى تحقيق الكمال في الأرض ، وبناء مجتمع تنتفي فيه كل عوامل التوتر والخلاف والصراع إلخ .

---

[125] – راجع الرابط :
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=15486

[126] – راجع الرابط
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=15486

[127] – راجع الرابط السابق

[128] – راجع الرابط السابق عبر فكرة: تجديد للفكر الديني بدون خضوعه للنقد

[129] – المرجع السابق

[130] – راجع الرابط
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=15486

وأظن أن هذا محال ، لأنه يعني بكل بساطة نهاية التاريخ ، وانتفاء الحاجة إلى الدين .

و يقول زكي الميلاد :

(لقد مرّ الخطاب الإسلامي بأطوار من التحول في علاقته بمفهوم التجديد ، وتكشف هذه الأطوار عن المفارقات المعرفية ، والوضعيات التي كان عليها الخطاب الإسلامي ما بين بدايات القرن العشرين ، وبدايات القرن الحادي والعشرين ، كما تكشف تلك الأطوار أيضاً عن ملامح التطور الثقافي في بنية وتكوينات الخطاب الإسلامي ، وهذه الأطوار هي :[131]

الطور الأول : حين كان الخطاب الإسلامي يتعامل بمنطق الرفض والشك لمفهوم التجديد ، ويقتبس من كتاب " الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي " للدكتور محمد البهي ، الصادر عام 1957م ...

فالتجديد في رقعة الشرق الأدنى منذ بداية القرن العشرين هو محاولة أخذ الطابع الغربي ، والأسلوب الغربي في تفكير الغربيين ، سواء في تعبيرهم عن الدين ، أو في تحديدهم لمفاهيمه ، ومفاهيم الحياة التي يعيشونها ، أو في تقديرهم للثقافات الشرقية الدينية والإنسانية "(1) ، (10) المرجع ذاته

ويكمل قائلا :

(الطور الثاني : في هذا الطور تغيرت صورة الخطاب الإسلامي بعض الشيء ، وأخذ يتعامل بمنطق الحذر ، والاقتراب المحدود لمفهوم التجديد ، وكان الهاجس الأساسي في هذا الطور هو محاولة ضبط مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي .

الطور الثالث : في هذا الطور وجد الخطاب الإسلامي نفسه مدفوعاً بقوة نحو مفهوم التجديد ، ولم يعد لتلك الهواجس والإشكاليات السابقة من أثر ، وتحول التعامل معه من منطق الحذر إلى التعامل معه بمنطق الاندفاع .

الطور الرابع : في هذا الطور تغيرت ولأول مرة صورة العالم بتأثير من جماعة أصولية بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر ، التي غيرت معها أيضاً صورة الخطاب الإسلامي ناظراً ومنظوراً إليه , لا يهمنا هنا البحث في تفاصيل الأمر والمسببات الحقيقية وراء ذلك , لكن آثرها كان مؤذيا كما رأينا .

فقد ظهرت هذه الأصولية إعلاميا وإلى العالم بوجه مخيف ومرعب ، و قد تجاوزت في خطورتها عالم الأفكار والمفاهيم ، وتحولت إلى قوة تدميرية على مستوى عالم الأشياء وعالم الإنسان ، كما أنها لم تعد مصدر خطر يتحدد في إطار مجتمعاتها وبيئاتها ، وتحولت إلى مصدر تهديد وخطر على مستوى العالم ، لذلك أصبح الخطاب الإسلامي في دائرة نظر واهتمام العالم برمته ، وهذا مغنم بقدر ما هو صعب المسار, وفي ظلّ هذه الأجواء وجد الخطاب الإسلامي المعاصر أنه أمام محنة شديدة تجاه ذاته وتجاه العالم ؛ تجاه ذاته حين وجد تفشي ظاهرة الأصولية بالصورة المخيفة التي ظهرت عليها ، وما تمثله هذه الظاهرة من غلو وتطرف وتكفير ونزعة نحو العنف ، وكأن هذه الأصولية هي التي كانت تتنامى وتتقدم في المجتمعات العربية والإسلامية على حساب نهج الوسطية والاعتدال والتنوير ، وهي الملامح والأبعاد التي كان يشتغل عليها الخطاب الإسلامي المعاصر)[132] .

---

[131] – (بتصرف) راجع الرابط

http://science-islam.net/article.php3?id_article=910&lang=ar

[132] – الرابط السابق ذاته

****

خاتمة:

يمكننا اعتبار المجددين مذاهب ,وقد انقسموا بين مجددين في الخطاب الديني والنظرة التجديدية العلمية للتفسير القرآني, كالشيخ النابلسي حفظه الله [133] ,والدكتور زغلول راتب النجار[134] ومن اتخذ طريقة التجديد الفكري والمنهجي غير الديني الصرف كالدكتور طارق سويدان وأمثاله من المجددين الفكريين ذوي النظرة الملتزمة والتي تخدم المسار الديني بطريقة ما , وقد وضع أمثالهم خططا وشقوا طريقا واعيا واضحا ليكون دليلا ومنارة هادية وسط الزحام الفكري القائم حولنا والذي تتضارب مساراته أحيانا.

ورغم كل هذا ,لا يمكن بحال الإحاطة بكل ما نوينا الإحاطة به لكننا نتمنى أن نكون قد وضعنا يدنا على مفاتيح ما نرى ونسمع حولنا ووضعنا بعض إشارات هامة قد يكمل دراستها من بعدنا.

يقول المهندس ظافر الحكيم : ربما كنا نبحث عن تجديد للخطاب الديني بطريقة ما,ولكننا بحاجة فعلية لقدوة حسنة أكثر تقتدي بها الأمة تتوحد تحت لوائها ربما ,والإعلام لا يظهرا للأسف هذه القدوة التي نبحث وكما يجب أن تكون, فهل كان الخليفة عمر بن عبد العزيز مجددا أم قدوة حسنة ؟ولما صلح رأس الدولة هل صلح المجتمع فعلا؟من هنا يجب أن ينطلق التفكير ومن هنا تبدأ الأخطاء ويبدأ مشوار الإصلاح. [135]

****

نرى هنا أن اختصاص أمة الإسلام بمصطلح (القدوة) , كاختصاصها بالإسناد المعدود من دينها وأصول شريعتها .. وأن توقف النجاح في الحياة على وجود (نبي قدوة) , في حياة الفرد والجماعة والأمة كتوقف الحياة نفسها على الهواء والماء والغداء .. وأن صلة هذا كله بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم , كصلة ري عذب زلال بمعينه ، لا يخرج صافيا عذبا زلالا إلا منه ، ولا يعرف إلا بالرجوع إلى أصله ومخرجه ، فمن رام النجاح الأمثل الأكمل فليطلبه من السيرة النبوية مصدره الأنجع الأوحد ، وليعلم أن ما سواها من مصادره ووسائله ومناهجه أشبه بالمجاري ؛ لا يأمن الناهل منها أمواج شَبَه تأخذه ، أو بريق عبارات يميل به ، أو اختلاط أقوال تختلف عليه .

ولا يخفى صلة ما بين قوله تعالى :

– (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) الملك **14**

وقوله تعالى :

---

[133] انظر رابط موقعه للاستزادة:
/http://nabulsi.com/blue/ar

[134] راجع موقعه للمتابعة
/http://www.elnaggarzr.com

[135] مهندس زراعة سوري ورجل أعمال

– (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ، الأنعام 124

إذ لا يتصور لجعل الرسالة فيمن يصطفيه عز وجل من الرسل غاية , إلا إسعاف (من خلق) بلطفه المشتمل على رحمته ، وخُبْره المشتمل على حكمته ، وهذه أتم النعم وأشملها لسائرها . فدلت الآية الأولى على كمال علمه عز وجل بخلقه ، ودلت الثانية على كمال علمه بما يختار لهم ، وقد جمع ما تفرق في الآيتين قوله تعالى :

– (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخِيَرة) ؛ القصص 68

أي أن الاختيار إلى الخالق وحده كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

(فكما أنه المنفرد بالخلق فهو المنفرد بالاختيار منه ، فليس لأحد أن يخلق ولا أن يختار سواه ، فإنه سبحانه أعلم بمواقع اختياره ، ومحال رضاه ، وما يصلح للاختيار مما لا يصلح له ، وغيره لا يشاركه في ذلك بوجه) .

ولازم خبره وحكمته عز وجل أن يكون اختياره لخلقه مغنيا كافيا ، فلا يلجئون إلى سواه إلا جهلا بقصوره أو احتجاجا لكمال ما اختار الله لهم .

ولكم اقترحت قريش بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم للنبي (القدوة) من بدائل (النماذج) و(الأنماط) إعراضا عن مراد الله تعالى واختياره كما قال تعالى – الزخرف 31 . 32 –

(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سُخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) .

فهم لا يملكون قَسْم المعيشة الدنيا القليلة القريبة فكيف يقترحون قسم النبوة والرسالة ذات الحقيقة العليا والخصائص العلوية الأسمى ، يقول سيد قطب رحمه الله : (ولعله سبحانه لم يشأ أن يجعل لهذه الرسالة سندا) من خارج طبيعتها ، ولا قوة من خارج حقيقتها ، فاختار رجلا ميزته الكبرى الخلق ؛ وهو من طبيعة هذه الدعوة ، وسمته البارزة التجرد ؛ وهو من حقيقة هذه الدعوة ، ولم يختر زعيم قبيلة ، ولا رئيس عشيرة ، ولا صاحب جاه ، ولا صاحب ثراء ؛ كي لا تلتبس قيمة واحدة من قيم هذه الأرض بهذه الدعوة النازلة من السماء ، ولكي لا تزدان هذه الدعوة بحلية من حلي هذه الأرض ليست من حقيقتها في شيء .) ولو داخلها من ذلك أقل شيء لما نجحت ،

فمدار نجاحها على تولي الله تعالى اختيار (النبي القدوة) الذي إذا اقتدى به الناس نجحوا فيما يأتون ويذرون ، وما يرجون به التألق والوصول. فنجاحك في استخراج مفاتيح النجاح من السيرة النبوية فرع عن نجاحك في اختيار النبي صلى الله عليه وسلم قدوة لك ومتبوعا ، والرضا بما قسم الله تعالى لك من بعثته ورسالته إكراما لك ورعاية لمصلحتك .

ولذلك سمى الله تعالى ما قسم لنا من اصطفاء النبي صلى الله عليه وسلم رحمة إشارة إلى أنها تكفينا وتغنينا ،

وأنه عز وجل مشفق علينا أن نلجأ إلى غيرها فتمسنا حيرة المعرضين عن اختياره بطلب البدائل الحائرة

****

يبدو أن مهمتنا لم تنته بعد ومازال علينا عمل كثير وكثير جدا ,لقد كان كتابنا هذا مفتاحا لها فقط ووجهات نظر وتصويبات بقدر الإمكان , وأن يكون المفتاح قد أحسن في فتح بعض الأقفال المستعصية لهو النوال والبغية, ولا ندري

قد يفتح لنا زمنا جديدا آفاقا تعطينا دفقا جديدا في مشوار العطاء كي نكمل البحث في زوايا الخير في قلوب وعقول أمتنا التي نحب.